التصوف
في المغرب العربي وأفريقيا

فكرة جمع وإعداد

الدكتور مازن الشريف
الأمين العام للاتحاد العالمي للتصوف
رئيس اتحاد المغرب العربي للتصوف

تأليف

مجموعة من الكتاب والباحثين



التصوف

في المغرب العربي وأفريقيا

(الجزء الأول)

فكرة، جمع وإعداد

الدكتور مازن الشريف

الأمين العام للاتحاد العالمي للتصوف
رئيس اتحاد المغرب العربي للتصوف
الأمين العام للرابطة المحمدية بتونس

تأليف

مجموعة من الكتاب والباحثين

الكتاب: التصوف في المغرب العربي وأفريقيا

الكاتب: مازن الشريف

نوع الكتاب: مقالات

الناشر: الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع المنستير تونس

thakafia.edition@gmail.com

الترقيم الدولي: 978-9938-10-194-2

الطبعة الأولى: 2017

(هذا علم من العلوم الشرعية وأصله أن طريقة هولاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الحياة وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ولما نشأ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على الله باسم الصوفية).

ابن خلدون - المقدمة

كتاب "التصوف في المغرب العربي وأفريقيا"

الإطار والغاية

الحمد لله الذي هدى وزكّى، والصلاة والسلام على إمام كل من تزكّى، قمر المدينة وشمس مكّة، والسر الموصول بين العرش والقبة الخضراء والبيت المعمور ببكّة.

نحمده سبحانه على ما أولى من عناية، وما علّم من آية، ورفع من راية لأهل الله بالله وفي الله.

تنبع فكرة هذه الكتاب من ضرورة التنسيق العلمي بين العارفين بالتصوف مشايخا وكتّابا وباحثين، وأخص التصوف في المغرب العربي وأفريقيا عامة، فإن المعلوم أن بلاد المغرب العربي هي حاضنة التصوف الكبرى وبلاد الأولياء والصالحين، كما كان المشرق موطن الأنبياء والمرسلين، وأكثر أهل الله وأولياؤه في المشرق أصولهم مغاربية كالإمام الشاذلي والسيد البدوي. أما أفريقيا فقد كانت امتدادا لتلك المدرسة الكبيرة، حيث نشأت الطرق وظهر الصالحون

القادمون منهم من بلاد المغرب الكبير أو أبناء تلك الأرض الشاسعة الطيبة.

ولكن الباحث والسائل يحتاج لكتاب يبين له حقيقة التصوف تأصيلا ومنطقا ومنهجا، خاصة في فترة الالتباس هذه وما رافقها من حرب على التصوف وأهله في أفريقيا كلها كما حدث في ليبيا وفي مالي ومدينة تمبكتو وغيرها، كما أن التعريف بالطرق والمدارس الصوفية في عموم أفريقيا أمر مهم وقيم، يثري المعرفة وييسر التنسيق بين أبناء الطرق انفسهم، إذ فرض الواقع اليوم على كل الطرق الصوفية تحديات جديدة وغير مسبوقة في صعوبتها ودقتها مما يستوجب التعارف والتعاون وتوحيد الجهود.

هذا الكتاب إذا جهد جماعي سيكون له ما بعده، من مجلات ونشريات وكتب، وهو دعوة لأصحاب القلم من أهل التصوف والمهتمين بهن وأصحاب العلم والمعرفة، للتصنيف والتأليف والإفادة، بأسلوب مبسّط ميسّر يجد سبيله يسيرا إلى عقول الشباب خاصة وقلوبهم، لأنهم المستهدفون بآفات التطرف على اختلافها، وأفضل

ترياق هو تصوف التزكية والتربية الروحية والأخلاق والإحسان. كما أن ثراء المدارس والطرق الصوفية في المغرب العربي وأفريقيا واثراءها لدولها ومجتمعاتها ثقافيا وأدبيا ودينيا وحضاريا، ودور المشايخ وأهل الله في الدعوة إلى الله وفي المقاومة وتحرير الأوطان، ودور زواياهم في الحفاظ على الإسلام ونشره والحفاظ على اللغة العربية، أمور يجب ان تصل لا إلى أبناء المكان والمنهج فقط، بل للجميع، حتى يكون الحكم على بينة، وحتى يطلع القراء والباحثون على حقائق كانت مغيبة عنهم، ولذلك سنحرص على ترجمة هذا الكتاب والكتب الذي تليه ليصل إلى العالم كله. والله الموفق والمعين.

كما تجدر الملاحظة إلى أن المقالات المنشورة في هذا الجزء من الكتاب وفي الأجزاء الموالية إن يسر الله هي بالتشاور مع السادة المؤلفين من المشايخ والعلماء، وبتفويض منهم بعد أن قدمت الموضوع وطلبت مقالات ودراسات تهم التصوف عامة وطرقهم الصوفية الخاصة أو التصوف في بلدانهم، فلهم جميعا

جزيل الشكر على التعاون والمساهمة في هذا العمل الجماعي الأول من نوعه الذي يهتم بالتصوف في المغرب العربي وأفريقيا من خلال كتابات جماعية ورؤى مختلفة المصدر ولئن كان بينها صلات كثيرة وموافقات عديدة.

هي محاولة جادة لمزيد إنارة الطريق الصوفي، وبداية مشروع معرفي نسعى لجعله أكثر رسوخا وانتشارا، كما نسعى لإعداد مجلة تعنى بالتصوف تاريخا وواقعا، علما وعملا، لما له من قيمة كبرى وأهمية ثابتة خاصة في فترتنا الحالية، كما أننا خصصنا مواقع على الأنترنت لنفس الغاية من بينها موقع http://al-sufia.com/ الذي سميناه "مركز ابن عربي للدراسات الصوفية والعرفانية"، ونحن بصدد تطويره وإعداد موقع خاص باتحاد المغرب العربي للتصوف ومجموعة مواقع أخرى ذات صلة، لما للعالم الافتراضي من قيمة وقدرة عالية على التواصل العالمي وبلوغ أعداد كبيرة من المهتمين والمتابعين والباحثين.

كما يمكن زيارة موقعي الشخصي أيضا حيث ننشر مجموعة من المقالات والدراسات في هذا المجال وسواه من حقول الفكر والمعرفة. http://mazencherif.com/ar/

ختاما نرجو من المولى العزيز القدير ان يسدد خطواتنا وأن يلهمنا الصواب ويجري على أيدينا الخير وينفع بنا الأمة والإنسانية ضمن مسار تثقيفي تنويري، كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل وفي مساعدتنا ماديا ومعنويا وعلميا وعمليا في جميع ندواتنا ومؤتمراتنا المحلية والاقليمية والدولية وفي نشاطنا الذي نروم من خلاله تقديم صورة حقيقية عن التصوف وأهله وعن الفكر ورجاله والإبداع وأصحابه والثقافة وروادها بصدق ونزاهة ومحبة.

مازن الشريف

سوسة بتاريخ 2017/03/06

في معنى التصوف
وحقيقة الصوفي

بقلم

الدكتور مازن الشريف

الأمين العام للاتحاد العالمي للتصوف

رئيس اتحاد المغرب العربي للتصوف

الامين العالم للرابطة المحمدية في تونس

إن البحث في معنى التصوف وحقيقة الصوفي أمر مهم من حيث الصيغة المعرفية وكذلك من حيث تطبيقاتها الواقعية وآثارها على الحياة والناس وعلى المؤمن ومحيطه ومجتمعه والصوفي وفعله وأثره، وهذه مقاربة في ذلك:

معنى بالتصوف: لغة: تجد في المعاني تعريفات للتصوف تكاد تكون واحدة:

معجم المعاني: التَّصوُّفُ : طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل ، لتزْكوَ النفسُ وتسموَ الروح

علم التَّصوُّف : (الفلسفة والتصوُّف) مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوِّفة والآداب التي يتأدّبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم.

المعجم الوسيط

2 - (الفلسفة والتصوُّف) طريقة في السّلوك تعتمد على التقشُّف ومحاسبة النفس ، والانصراف عن كلّ ما له علاقة بالجسد والتَّحلّي بالفضائل ؛ تزكية للنَّفس

وسعيًا إلى مرتبة الفناء في الله تعالى إيمانًا بالمعرفة المباشرة أو بالحقيقة الرُّوحيَّة .

• علم التَّصوُّف : (الفلسفة والتصوُّف) مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوِّفة والآداب التي يتأدَّبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم .

المعجم: الرائد

1 - مصدر تصوف . 2 - مذهب ديني أخلاقي فلسفي يقوم على الزهد في الدنيا والانصراف إلى الروح ، ويعتمد على التأمل والتعبد والتقشف وما إليها من الرياضات النفسية والروحية للوصول إلى الغاية البعيدة ، ألا وهي الاتصال بالذات الإلهية والفناء فيها.

وهذه الشواهد من المعاجم تبين أن تعريف اللغويين للتصوف هو تعريف بالحال أو بالمبادئ العامة أو بصفة المنتسبين للتصوف، وليست تعريفات للتصوف نفسه. أو هي تعرّف جانبا وتُغفل جوانب كثيرة، كالقول أن التصوف هو (طريقة في السّلوك تعتمد على التقشُّف ومحاسبة النفس ، والانصراف عن كلّ ما له علاقة بالجسد)، فهذا الانصراف الكلي عن الجسد والمبالغة في الزهد ولئن ظهر مع أقوام انتسبوا للتصوف هو ليس عين التصوف وحقيقته وجوهره، لأن للصوفي أسوة بسيد أهل التصوف والصفاء وإمام الرسل والأنبياء صلى

الله عليه وسلم الذي لم يكن مغرقا في الروحية ونهى من ترك النساء ومن صام كل أيامه وقال أنه يصوم ويفطر ويأتي النساء وهو سيد الناس كلهم وأتقاهم، بل قال في مقام آخر أنه زيّن له من الدنيا العطر والنساء وجعلت قرة عينه الصلاة. والعطر مما يحبب في الحياة ومن عبقها وأريجها وجمالها، والنساء هن عبق الحياة وأريجها وجمالها. ورسول الله إمام أهل الإحسان وسيد المقامات الربانية كلها، ولا تعارض مطلقا بل هو التكامل وهي الربانية الحق.

والتركيز على جانب من التصوف وسجن التصوف كله فيه أو إضفاء صفات أخرى منحولة للتصوف أمر شائع ذائع في كتب كثيرة كتبها من ادعوا نسبة بالتصوف فبالغوا في قصص الزهد والقطيعة الكلية مع الدنيا، وهو حال ظهر خاصة في العهد العباسي كردة فعل على ظهور نماذج من الترف كبيرة كما يذهب إلى ذلك بعض الكتاب والدارسين، ونفس الكلام المعياري الضيق نجده في نظرة المستشرقين للتصوف مثلا، فيركزون على التصوف الفلسفي وعلى شخصيات صوفية أو متصوفة أو منسوبة للتصوف حقا أو باطلا، كتركيزهم مثلا على الحلاج، وعلى قضايا يختارونها كالحلول وما شابهه، في حين يتركون

جوانب أهم وأدق وأدل على التصوف الحقيقي، إلا بعض المنصفين منهم.

اصطلاحا: يتعلق التصوف اصطلاحيا بمصطلحات أربعة مهمة في اعتقادي:

أ/ صُفّة: يرمز أهل الصُفّة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم للمساكين والفقراء، ولكنهم يرمزون أيضا للصالحين الذين تركوا الدنيا ومتاعها، وينسب الصوفية من كثير من الباحثين إلى أهل الصفة، أهل الزهد في الدنيا والفقر إلى الله.

ب/صوف: ينسب آخرون التصوف إلى الصوف، دلالة على التقشف والزهد أيضا، فأهل التصوف هم أهل تقشف يلبسون الصوف ويأكلون الحلال ويعتزلون الناس.

ج/صفاء: يكاد يجمع أهل التصوف على أن طريقهم وطريقتهم طريق صفاء وطريقة صفاء، فالتصوف عندهم هو صفاء القلب والنفس، وسموّها في مراتب الإيمان ومقامات العرفان لتبلغ بالتزكية مقام الإحسان.

وهذا الصفاء يكون نتيجة مكابدة ورياضة روحية ونفسية، ونتيجة عمل كبير على تزكية النفس لنيل الفلاح الدينيوي والأخروي، ويكون عملا مستمرا لتنقية النفس من الشوائب وتطهير القلب من الأدران والأحقاد وبلوغ مراتب عالية هي الاستقامة والخشوع والمحبة لله وهي الله. إن الصفاء هو بحق تاج التصوف الفعلي ومنهجه التربوي والروحي.

صفوة: يعكس هذا المصطلح وجهة نظري في مسألة التصوف، لأن التصوف ليس فقط صفاء، وليس قطعا مجرد المسكنة والفقر كأهل الصفة، ولا الزهد ولبس الصوف وترك الناس والخلوة، ولئن كان بعض ذلك ضروريا في مرحلة الإعداد للجلوة، لأن الخلوة ليست نهاية أو منتهى، بل هي بداية فقط، ففي الخلوة والاعتكاف للتعبد، وفي القناعة والزهد والاستغناء عن الدنيا، يبلغ المريد السالك مراتب الواصلين؛ فيكون الفقير لربه والغني بربه، ويكون له من الصفاء ما يشع على نفسه سكينة وعلى قلبه طمأنينة، لكنه إن مكث في ذلك المقام لن ينال

الاحسان أبدا، لأن الإحسان على بابين: باب مع الله وباب مع خلق الله، فمن بلغ الإحسان أحسَنَ: "وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ (77)"[1]

وهنا يكون باب لقول الأحسن وفعل الأحسن والدعوة للحسنى والجدال بالتي هي أحسن، كما سنورد في كلامنا عن مقام الإحسان، وهو بذلك يكون في جلوة الفعل بعد خلوة التفعيل، ففي الخلوة تم تفعيل قدراته الروحية والعقلية بعد التهذيب والتزكية والتربية والصقل والتطوير، أما الفعل فهو مجتمعي بالأساس وهو في عالم الناس ووسط والناس، تأثيرا وإصلاحا ودعوة، إنه الكون في الإطار الرباني الذي دعا لأن تقوم به صفوة من عباده، أمة مخصوصة شرفها الله بذلك بعد أن أعدها لذلك: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)"[2]

---

[1] القصص

[2] آل عمران

فأهل التصوف الحق هم صفوة سلكوا طريقهم إلى الله وفنوا فيه وأخذوا الناس معهم إلى الله تربية وتوجيها وتقويما، وهذا لا يكون لمن يعتزل الناس ويتركهم، وهنا باب لمدرسة عظيمة من مدارس التصوف في جمالها وحقيقتها تمظهرت وتجلت مع الشيخ المربي العارف بالله سيدي أبو الحسن الشاذلي الذي كان يلبس أحسن الثياب وجاءه مرة متصوف يلبس ثيابا رثة والشيخ يدرّس في حلة بهية سنية فقال له: أتلبس هذا يا شيخ؟ فأجابه: "لباسك يقول للناس أنا فقير إليكم، ولباسي يقول لهم أنا غني عنكم". وبهذا الفهم يكون الصوفي من بلغ مرتبة الصفوة من المؤمنين المصلحين العابدين لله والنافعين لخلق الله رحمة ومحبة وتربية وإصلاحا، وهم دائما قلة في كل زمان ومكان كما وصفهم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فمنهم السابقون:"وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ

النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (14)" [3]

ومنهم أصحاب اليمين: " لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (39) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (40)" [4]

جوهر التصوف: ليس من باب الإنشاء بل هو من باب الخبر اليقين أن نقول مطمئنين أن التصوف هو جوهر هذا الدين: جوهر رحماني رباني، محمدي قرآني، يقيني إيماني، ذوقي عرفاني، وأخلاقي إحساني. إنه الذوق الذي تسمو به الروح ويطيب به المعنى ويدرك به الكنه، وهو الإحسان الذي يصل به المؤمن إلى ذروة اليقين، فيعبد الله كأنه يراه. والتصوف رحمة وحب لله وفي الله وبالله، ومن خلا قلبه من ذلك فلا خير فيه ولو حفظ المتون وسأله الناس الفتوى، فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج وقال: تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وتلاوتكم إلى تلاوتهم، ثم قال: يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم،

---

[3] الواقعة

[4] الواقعة

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. لأن قلوبهم خلت من الرحمة والحب والنور الرباني والشعاع النوراني المحمدي.

و الصوفي الحق من صفا قلبه لربّه، واطمأن لحبه، وأنس بقربه.

الصوفي الحق من تجلى عليه الله بجماله، وأمّنه من جلاله، ومتعه بكماله، وأغناه بوصاله، وأعطاه من نواله، وصدّق حقيقة حاله.

الصوفي من أسرت الروح وأسرى لها، من نادى الله من يأخذ مني هذه الولاية والعناية فكان لها.

من سرى في الناس مؤمنا داعيا للخير، وسلم لله في حال الرخاء وحال الضيم والضير. وتوكّل على ربّه توكّل الطير، تروح خماصا وتغدو بطانا. الصوفي من شرب من حوض الرحمة فكانَ، وعاهد ربّه فصان، واطمأن بربّه واستكانَ.

الصوفي من تجلى فيه الجمال المحمدي الرحماني، والحسن الروحي الرباني، والخلق النبوي القرآني.

وأهل التصوف الحق هم أهل الله وخاصته، سقاهم من خمور قدسه، وأجلسهم في مجالس أنسهم، ومتعهم بالنظرة، ولقاهم النضرة، وأقامهم سادة للحضرة.

وليس الصوفي من هجر الناس، أو جعل تصوفه في منخرق اللباس، أو حملته الظنون وركبه الوسواس، وادعى ما ليس له به علم وافترى بغير هداية وغير قياس.

ولا التصوف شطح وغياب، وتشدق بغير علم وغير صواب، ومخالفة للسنة والكتاب، وخروج عن الشرع بدعوى كشف الحجاب.

إن كل ذلك من فعل الخناس، والمنخدعين به أو المخادعين للناس.

التصوف رفعة راية، وتحقيق غاية، وتحقق آية: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَان أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا

رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194)"[5]

---

[5] آل عمران

التصوّف والحاجة إليه

بقلم

الأستاذ بدري المدني

المنسّق العام للطريقة المدنية بتونس

نائب رئيس الرابطة المحمدية

نائب رئيس اتحاد المغرب العربي للتصوف

إنّ الصّحوة الإسلاميّة الشّاملة الّتي تواكب مطلع قرننا الخامس عشر هجري، وتقتحم بأنوارها أرجاء عالمنا الإسلاميّ، وتجدّد في المؤمنين نخوة الاعتزاز بأيّام مجد الإسلام، وعزّة المسلمين، لتبعث في النّفوس الاطمئنان على هذا الدّين الذي تكفّل الحقّ سبحانه وتعالى بحفظه وصونه.

وفي غمرة هذا تختلط السّبل، وتختلف الآراء، وتتباين النّظرة إزاء الوسائل والأساليب التي تعيد لهذا الدّين روحه وتعود بالمسلمين إلى ظلال الأنس بالله تعالى والتنعّم بمناجاته والسّعادة بقربه. ولن يتمّ ذلك إذا لم يتمسّك كلّ فرد بأركان الدّين الثّلاثة إيمانا، وإسلاما، وإحسانا.

والإحسان هو زبدة الدّين وقد اصطلح على تسميته بالتّصوف، ولا مشاحّة في الاصطلاح. وقد كثر الخلاف في المجال الصوفيّ من إيمان بجدواه، واقتناع بالاستفادة منه عند البعض، إلى تشكيك في قيمته، بل وإلى دعوة خطيرة تهدف إلى طرحه،

والإستغناء عنه، والتّشنيع على الطّرق الصّوفيّة، ورمي مشائخها بنعوت لا تليق، عند البعض الآخر.

وهذا ما حدا بنا إلى بسط القول في تبيين حقيقة التّصوّف، مقام الإحسان، وافتقار النّاس إليه، ودور أشياخ التّربية في الصّقل والتّهذيب، والفرق بين الصوفيّ والمتصوّف، وبين طريق الوصول وطريق التّبرّك، وما إليها من المباحث..

وعسى أن يكون في هذا العمل المتواضع أثر في تبديد غيوم التّشكّك في أهمّية الطّرق الصّوفيّة.

1- مفهوم التصوّف:

- التصوّف لغة: هو مصدر من فعل تَصَوّفَ، أي لبسَ الصُّوف، كما يقال تعمّم إذا لبس العمامة. وقد عوّل بعض العلماء كالسّرّاج [1] والسّهروردي [2] وابن تيميّة [3] في سبب تسمية الصّوفيّة بهذا الإسم على هذا المفهوم اللّغوي فجعلوا التّصوّف مشتقّا من الصّوف بناء على أنّ هؤلاء القوم اختاروا لبس الصّوف غير أنّ هذا الإختيار وإن كان صحيحا من حيث الإشتقاق اللّفظي للكلمة فهو ضعيف بالنّظر إلى أحوال الصّوفيّة لأنّ

القوم لم يختصّوا ولم يتميّزوا بلبس الصّوف دون غيرهم إذ نجد بعض الطّوائف الأخرى التي شاركتهم في هذه اللّبسة كما أنّ الكثير من الصّوفيّة لبسوا الصّوف ولبسوا غيره من الثّياب[6].

وقد أنكر ابن خلدون اشتقاق اسم الصّوفيّة من الصّوف ضرورة وجارى القشيريّ في ذلك وعدّ ابن الجوزيّ ذلك الإشتقاق محتملا [(1)]. وذهب قوم إلى أنّ اسم التّصوّف مشتقّ من الصّفّ فكأنّ الصّوفيّة في الصّف الأوّل بين يدي الله عزّ وجلّ بارتفاع هِمَمِهِمْ وإقبالهم على الله بقلوبهم.

وقيل هو مشتقّ من الصفّة لأنّ الصّوفيّ متّصف ومتزيّن بما حسُن من الأخلاق مُباعِد لما قبُحَ منها.

---

(1) [6]وما بعدها نشرة نيكلسون لندن 1916.

(2) عوارف المعارف ص61 دار الكتاب العربي الطبعة الثانية 1403 هـ -1983م.

(3) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج11 ص6 المكتب التعليمي بالمغرب.

وقيل هو مشتقّ من الصّفاء حتّى قال أبو الفتح البُستي رحمه الله تعالى:

تنازع النّاس في الصّوفيّ واختلفوا
وظنّه البعض مشتقًا مـن الصّوف
ولست أمنح هذا الإسم غير فتـى
صافي فصُوفي حتّى سُمّي الصّوفيّ

ورأى غير هؤلاء أنّ الاسم مشتقّ من صُوفة القفا [2] لِلِينِهَا فالصّوفيّ هيّن ليّن كأنّه عُطِفَ به إلى الحقّ وصُرف عن الخلق.

إلّا أنّ هذه الأقوال الأربعة الأخيرة وإن كانت قويّة صحيحة من حيث معناها فإنّها بعيدة في مقتضى اللّغة والاشتقاق.

وزعم بعض الغربيين أنّ كلمة " صوفيّة" العربيّة مأخوذة من كلمة "سُوفيا" اليونانيّة والتي تعني الحكمة، إلّا أنّ المستشرق الألماني ثيودُر نولدكه [3]. ردّ هذا الزّعم الباطل، إذ لاحظ أنّ السّيغما (وهي السّين اليونانيّة) تقلب عند التّعريب سينا لا صادا فنحن نقول في فيلوسوفيا فلسفة لا فلصفة. هذا مع

أنّ التّسمية بالصّوفيّ كانت موجودة معروفة تداولتها الألسن قبل ترجمة الحكمة اليونانيّة إلى اللّغة العربيّة بل لقد عرفت في العهد الجاهلي على ما نقله صاحب اللّمع.[4]

والرّاجح أنّ الصّوفيّة سمّوا بهذا الاسم نسبة لأهل الصُّفّة وهم قوم من فقراء الصّحابة رضي الله عنهم أقعدتهم ظروفهم عن السّعي والكسب، فأقاموا في صُفّة المسجد، وهي مؤخّرة مسجد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة، لا يشغلهم أيّ أمر عن العبادة والاستغراق فيها. وفيهم نزل قول الله تعالى:" وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" [5]

قال الشّيخ أحمد زرّوق [6] في القاعدة السّابعة عند ذكر الأقوال الواردة في اشتقاق التّصوّف: " الخامس: أنّه منقول من الصّفّة لأنّ صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تعالى:" يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" وهذا هو الأصل الذي يرجع إليه كلّ قول فيه والله أعلم."، وقد

اعترض بعض الكتّاب والباحثين هذا الرأي. قال ابن الجوزيّ (7) إنّ نسبة الصّوفيّة إلى أهل الصفّة خطأ لأنه لو كان كذلك لقيل صُفّيّ. ولكنّ هذا الاعتراض ليس بالقـــويّ[7] لأنّه يجوز لغة أن يقال للمنسوب إلى أهل الصّفّة صوفيّ عوضا عن صُفّيّ، وتوجيه ذلك ما ذكره العلّامة أبو زكرياء الفرّاء (1) في معاني القرآن من أنّ العرب تبدّل في المشدّد الحرف منه بالياء والواو

(1) [7] التصوف في الإسلام للدكتور عمر فروخ ص24 دار الكتاب العربي بيروت 1401هـ - 1981م.

(2) هي الشعرات النّابتة في مؤخّرة القفا ، أيّ الرقبة.

(3) التصوف في الإسلام للدكتور عمر فروخ ص24.

(4) المنقذ من الضلال تحقيق د. عبد الحليم محمود ص153 – 156- دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة ط2 1985

(5) الأنعام الآية 52.

(6) قواعد التصوّف ص6 مكتبة الكليّات الأزهريّة الطبعة الثانية 1396 هـ - 1976 م.

(7) التصوف في نظر الاسلام د. عمر فروخ ص24.

وضَرَب لذلك أمثلة كدينار وديوان فإنّ أصلهما دِنَّار ودِوَّانٌ بنون و واو مشدّدتين. وعلى ذلك خرج الزّمخشري [2] سلامة النّسبة إلى أهل الصُّفّة حين ذكر: " فقيل مكان الصُّفِّيَة الصوفيّة، بقلب إحدى الفائين واوًا للتّخفيف".اهـ

وقد ذكر الامام اللّغوي الزّبيديّ في شرح القاموس [3] ما نصّ عليه الزّمخشري وأقرّه ولم يتعقّبه بشيء وجعله وجها جائزا حيث يقول :" الصّوفان كلّ من ولي شيئا من فعل البيت وآل صوفان كانوا يخدمون الكعبة ويتنسّكون ولعلّ الصّوفيّة نسبت إليهم تشبيها لهم في التنسّك والتعبّد، أو إلى أهل الصفّة فيقال مكان الصُّفّيّة الصّوفية بقلب إحدى الفائين واوا للتّخفيف..."

قال السيّد محمود أبو الفيض المنّوفي [4] :" وقد نسبوهم -أي الصّوفيّة- لأهل الصّفّة [5] وهو الأرجح عندنا لأنّ هذه النّسبة تجمع بين الصّوف والصّفاء والصّفّة في مؤدّى واحد لأنّها من خصائص أهل الصفّة". اهـ

وقال الشيخ سيدي أحمد العلاوي في ألفيته:

أهل الصُّفَّة نسبتهم يا من صفا

بينهما تناســب فلا يخـفى

- التّصوف اصطلاحًا:

فإذا انتقلنا الآن من مشكلة لفظ التّصوّف إلى مشكلة حقيقته، وجدنا أنفسنا أمام حشد كبير من التعاريف. والسّبب في ذلك هو استحالة إدراك جوانب التّصوّف إدراكا يمكن به جمعها في لفظ قليل. مع أنّ كلّ من عبّر عن التّصوّف إنّما يعبّر عن الشّيء الذي أدركه، مؤكّدا على الأمر الذي بدا له أنّه الأهمّ في الطّريق الصّوفيّ. وقد جعل الشيخ أحمد زرّوق هذه الحقيقة أصلا من أصول علم التّصوّف فقال[6]: " الاختلاف في الحقيقة الواحدة إن كثر، دلّ على بُعد إدراك جملتها. ثمّ هو إن رجع لأصل واحد يتضمّن جملة ما قيل فيها، كانت العبارة عنه بحسب ما فُهم منه، وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله،

واعتبار كلّ واحد على حسب مناله منه علما أو عملا أو حالا أو ذوقا أو غير ذلك[8].

---

(1) [8]معاني القرآن ج 3 ص 267 تحقيق عبد الفتاح شلبي.

(2) مادة (ص و ف) ص 262 الطبعة الأولى لكتاب أساس البلاغة بمطبعة أولاد أورقاند 1372 هـ 1953م.

(3) شرح القاموس المحيط المسمى تاج العروس ص 170 ج6 المطبعة الخيريّة الطبعة الأولى 1306هـ.

(4) التصوّف الإسلامي الخالص ص50 دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

(5) ولقد زعم بعض المؤلفين أنّ هذا الاختيار مردود لأنّه يجعل من الصحابة رضي الله عنهم قسمين "صوفيّة" و"غير صوفية" . وهذه دعوى ظاهرة البطلان لم يقل بها من الصوفيّة أحد أبدا بل ثبت عنهم خلاف ذلك. ثمّ إنّ مشابهة الصوفيّة لأهل الصفّة إنّما هي أساسا فيما اتّصفوا به من الصّدق وطريقة التعبّد بالاقبال على الله يدعونه بالغداة والعشيّ يريدون وجهه. وبهذه الصّفات نزل القرآن فقال سبحانه مخاطبا نبيّه صلّى الله عليه وسلّم :"

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" فهذه الآية الكريمة نزلت في أهل الصفة ولكن هل هي محصورة فيهم؟ هل يعني ذلك أنّ القرآن فرّق بين الصحابة فجعل منهم من لا يدعون الله بالغداة والعشيّ لا يريدون وجهه؟ حاشاهم من ذلك وإلا فقد تقرّر في علم أصول الفقه أنّ العامّ الوارد على سبب خاصّ لا يقصر على سببه بل يستعمل في عموم ما ورد به لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السببه والصّحابة كلّهم رضي الله عنهم في عبادة الله مستغرقون وبهذه الخصال متزيّنون إلّا أنّ أهل الصُّفة عرفوا بها أكثر من غيرهم فانتسبت الصّوفيّة لهم.

(6) قواعد التّصوّف ص3 و4 القاعدة 3.

والاختلاف في التصّوف من ذلك، فمن ثمَ ألحق الحافظ أبو نعيم رحمه الله بغالب أهل حليته – عند تحلية كلّ شخص- قولا من أقواله يناسب حاله قائلا: وقيل إنّ التصّوف كذا. فأشعر أنّ من له نصيب من صدق التوجّه له نصيب من التصّوف،وأنّ تصوّف كلّ أحد صدق توجّهه، فافهم.اهـ

فبعضهم قد حدّ التصّوف بأنّه الخُلق الحميد. قال أبو بكر الكتّاني [1]: التصّوف كلّه أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق، زاد عليك بالتصّوف.

وسئل أبو محمّد الجريري[1] عن التصّوف فقال:" الدّخول في كلّ خُلق سنّي والخروج من كلّ خُلق دنيّ".

فإذا نظرنا إلى هذين التّعريفين، علمنا أنّ الاتّجاه فيهما قائم على مراعاة الخُلق الكريم، ظاهرا وباطنا، وأنّ هذا الخُلق أساس التصّوف، بل أوّل الواجبات التّي ينبغي للسّالك أن يجاهد نفسه من أجل التحقّق بها. وقد رغّب في ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جميع المؤمنين بقوله: "ما من شيء أثقل في ميزان

المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق". رواه الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه وقال حديث حسن صحيح[2]

فالصوفيّ هو الذي يكون متأدبا مع الخلق بحسن معاملتهم، ومع الحقّ بالتزام التكاليف الشرعيّة، والإقبال على الله بالكليّة.

واتجه آخرون في تعريف التصوّف إلى الجانب التعبّديّ فيه، فضسّروه بالزّهد، حتى ظنّ بعض النّاس انّ التصوّف منحصر في لبس الصّوف والانقطاع عن الدّنيا وترك مخالطة النّاس.

وهذا الظنّ مُجانب للحقّ من وجهين:

أمّا الوجه الأوّل: فهو أنّ الزّهد عند الصّوفيّة لا يعني الانقطاع عن مخالطة البشر وترك الأخذ بالأسباب المشروعة بل هو الأخذ بها دون تعلّق القلب بها، مع الاعتماد في كلّ ذلك على الله وحده، فالزّهد عندهم زهد بالقلب لا باليد. قال الشّيخ سيّدي محمّد المدني في حكمه: " الزّهد زهد القلب لا زهد اليد فمن رأى أنّ التلذّذ بالطيّبات لذّة زائلة فاشتغل عنها باللّذات الباقية فهو رجل ذو همّة عالية وان تمتّع

بها معتقدا أنها نعمة من الله وفضل ممتثلا قوله تعالى: " وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا" فهو أفضل بشرط التقوى على كلّ حال ولذلك ختم هاته الآية بقوله تعالى: " وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ"[9](3)

وأمّا الوجه الثاني: فهو أنّ التصوّف شيء والزّهد شيء آخر ولا يلزم من كون الصّوفيّ زاهدا أن يكون التصوّف هو الزّهد. وينبغي في هذا المقام أن لا يشتبه الأمر بما يتعاطاه بعض الصّوفيّة في بداية سيرهم واصطلحوا على تسميته بالخلوة، إذ هي نوع من الاعتكاف ولكن بغير المسجد، وربّما كانت فيه، وهي انقطاع عن مخالطة النّاس لفترة محدودة ومدة

---

(1) [9] المنقذ من الضلال بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ص160.

(2) رياض الصالحين للنووي ص213 مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الخامسة 1403هـ - 1983م.

(3) تحفة الذاكرين الحكمة الرابعة ص 32 و33 طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 83-588.

يسيرة يعود بعدها الصّوفيّ لمشاغل الحياة يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لا تشغله الدّنيا عن مراقبة الحقّ كما لا تصدّه عبادته ومعرفته عن مخالطة الخلق، فالغاية إذا من الخلوة تطهير القلب من الأدناس وإفراده للذّكر والتّوحيد حتّى تشرق فيه أنوار المعرفة ويتحقّق بقول الله تعالى: "وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا"[1].

والدّليل على مشروعيّة الخلوة ما رواه البخاري[2] في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أوّل ما بُدِئَ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الوحي الرّؤيا الصّالحة في النّوم فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصُّبح ثمّ حُبّب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه – وهو التّعبّد- اللّيالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثمّ يرجع إلى خديجة ويتزوّد لمثلها حتّى جاءه الحقّ وهو في غار حراء.[3]

قال ابن حجر العسقلاني[4]: "والخلاء بالمدّ: الخلوة. والسّر فيه أنّ الخلوة فراغ القلب لما يتوجّه له..."اه[5]

وعرّف شيخ الإسلام أبو يحيى زكريّاء الأنصاريّ رحمه الله [6] التصوّف بأنّه "علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السّعادة الأبديّة."اهـ

وعرّفه ابن عجيبة رحمه الله [7] بأنّه "علم يعرف به كيفيّة السّلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرّذائل وتحليتها بأنواع الفضائل وأوّله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة."

وعرّفه الشيخ العربي بن أحمد الدّرقاوي [8] بأنّه "حفظ شرائع الدّين وحسن الخُلق مع الخلق أجمعين وسلب الإرادة لله ربّ العالمين". اهـ

وعرّفه الامام الغزالي رحمه الله بأنّه " عمل مبنيّ على العلم، وقطع عقبات النّفس، والتنزّه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتّى يتوصّل بها إلى تخلية القلب من غير الله، وتحليته بذكر الله[10][(9)].

---

(1) [10]المزمل آية 8.

(2) صحيح البخاري باب "كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم".

إن قيل كيف يكون هذا الحديث حجّة وهو أمر واقع قبل الرسالة ولا حكم إلا بعدها؟ فالجواب على ذلك هو ما أورده المحدث القسطلاني في إرشاد السّاري ج1 ص62 مطبعة بولاق بمصر 1353 هـ بقوله:" إنه أوّل ما بدئ به عليه الصّلاة والسلام من الوحي الرؤيا الصالحة ثمّ حبّب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء كما مرّ فدلّ على أنّ الخلوة حكم مرتّب على الوحي لأنّ كلمة "ثمّ" للترتيب وأيضا لو لم تكن من الدّين لنهى عنها بل هي ذريعة لمجيء الحقّ وظهوره مبارك عليه وعلى أمّته تأسّيا وسلامة من المناكير وضررها ولها شروط مذكورة في محلّها من كتب القوم"اهـ قال العلّامة المحدث النووي في بستان العارفين ص53 دار الكتاب العربي الطّبعة الأولى ما نصّه:" وقال الشافعيّ رضي الله عنه من أحبّ أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة وقلّة الأكل وترك مخالطة السّفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب.اهـ انظر لمزيد الإطّلاع كتاب فقه السيرة للدّكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

(3)فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج1 ص 23 دار المعرفة بيروت لبنان.

وهكذا يمضي أيمّة الصّوفيّة في تعاريفهم للتّصوّف كلّ يعبّر بحسب ممارسته له وما غلب عليه من الحال. وقد حُدّ التّصوّف ورُسم وفُسّر بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجع كلّها لصدق التوجّه إلى الله تعالى، وانّما هي وجوه فيه [1] وبذلك تكون حقيقة التّصوّف هي كلّ هذه التّعاريف وأمثالها مجتمعة.

---

(4) انظر إلى حقيقة الخلوة وفوائدها وأقوال العلماء فيها في كتاب حقائق عن التّصوّف للشيخ عبد القادر عيسى من صفحة 241 إلى صفحة 268.

(5) هامش الرّسالة القشيريّة ص7 دار الكتاب العربي بيروت لبنان تمّ الطبع سنة 1367هـ 1957م.

(6) معراج التشوّف إلى حقائق التصوّف ص4 مطبعة الاعتدال 1355هـ.

(7) التّصوّف الاسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي ص186.

(8) التّصوّف والطريق إليه لعبد الرزّاق نوفل ص20 ط دار الكتاب العربي بيروت.

2- نشأة التّصوّف:

يحاول كثير من المستشرقين وغيرهم من بعض المسلمين الذين يكتبون في موضوع التّصوّف أن يردّوا الجانب الرّوحيّ في الإسلام الذي اصطلح على تسميته بالتّصوّف إلى مصدر أجنبيّ بحت هنديّ أو يونانيّ أو مسيحيّ أو إلى أيّ مصدر آخر خارجيّ لا يمتّ للإسلام بصلة. ويريد أكثر أولئك المستشرقين من وراء ذلك أن يبثّوا الشّكوك بين النّاس وأن يستغلّوا التّصوّف استغلالا سلبيّا بإثارة الشّبهات ممّا يؤدّي إلى الجدال والخلاف المورّث للضّغن وقسوة القلوب والطّعن في الأعراض وفي هذا من المفاسد مالا يخفى.

وإذا أمعنت النّظر في كتاباتهم وجدت من ورائها نيّة مبيّتة، وهي الإطاحة بمبادئ الاسلام وجوهره لأنّهم عجزوا عن الكيد له من سبل أخرى ولأنّهم علموا وتحقّقوا أنّ ضعف المسلمين في ضعف إيمانهم وتركهم لأسباب القوّة والمناعة في دينهم وهذا يؤدّي قطعا إلى التفكّك والتّفرقة وتفشّي داء الأنانيّة وغيره من الأدواء التي عمّت فأعمت وأصمّت.

وممّا يزيد القلوب حسرة وحيرة أنّ عددا من الكتّاب المسلمين لا يزيدون في تآليفهم على نقل أقوال بعض المستشرقين مع التّسليم لهم فيما وصلوا إليه من نتائج وبحوث بدون تمحيص في الغالب فينتصرون لها ببهرج القول حتّى يصل بهم الأمر إلى تقديمها على أقوال العدول الثّقات من أيمّة المسلمين المشهود لهم بالعلم والتّوفيق والتّقوى مع عظيم إطّلاعهم على أصول الدّين وطوائف الفِرق من الضالين. فالتّصوّف على رأي أولئك مذهب دخيل في الإسلام إلّا أنّهم اختلفوا بعد ذلك في مصدره الأوّل وأصله الذي استمدّ منه مبادئه وقواعده. فزعم بعضهم أنّ التّصوّف الإسلامي مأخوذ من أصل مسيحيّ وهو الذي يُسمّيه الغربيون وغيرهم ب " الميستيسيسم " [11] (2) واستدلّوا على ذلك بما يوجد بينهما في الظاهر من تشابه كلبس الصّوف الذي هو من عادة الرّهبان وكالزّهد وإستعمال بعض

---

(1) [11] قواعد التّصوّف ص2 القاعدة 2.

(2) MYSTICISME

المصطلحات الخاصّة بالطقوس المسيحيّة. وهذا الذي زعموه مجانب للصّواب والدّليل على ذلك أمور:

الأوّل : أنّ الذين قالوا بهذا من المحدّثين إنّما يربطون بين الصّوف وبين لباس الرّهبان ثمّ يربطون بالتّالي بين التّصوّف والرّهبنة وهذا اعتبار فاسد لأنّ الرّهبان لم يختصّوا وحدهم بلبس الصّوف حتّى نتّخذ القول به حقيقة نبني عليها أحكاما كهذه بل إنّ الصّوف لباس الأنبياء من قبل ويشهد لذلك ما أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك [12](3) عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال " لقد سلك فَجّ الرّوحاء سبعون نبيّا حجّاجًا عليهم ثياب الصّوف." وقد لبس الصّوف من الصّحابة كثيرون إلّا أنّ ذلك لم يكن قادحا في أصالة إسلامهم.

يلزم منه وجود المطابقة أو التأثر والتّفاعل في الأصل والجوهر.

---

(3) [12]المستدرك على الصحيحين ج2 صفحة 598.

الثاني: إنّ الصوفيّة وخاصّة المتأخّرين منهم لم يتميّزوا بلبس الصّوف بل غلبَ على المتقدّمين منهم لُبس المرقّعات من أنواع وأشكال مختلفة فيها النّسيج والجلود.[1]

الثّالث : إنّ الزّهد والتّعبّد أمر معلوم في ديننا الإسلاميّ وفي غيره من الشّرائع السماويّة، وقد بيّن الله لعباده حقارة الدّنيا حتّى لا تتعلّق بها قلوبهم فقال سبحانه: " وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ" [2].

ثمّ إنّ مفهوم الزّهد عند الصّوفيّة أو نقول في الإسلام يختلف عن الذي يفهمه ويمارسه المسيحيّون، فالزّهد في الدّنيا ليس بتحريم الحلال وإضاعة المال وتعذيب الأبدان كما هو في المسيحيّة والهندوكيّة وإنّما هو أنّ يكون العبد بما في يد الله أوثق منه بما في يده. ولذلك فإنّ الصّوفيّة المسلمين خالفوا الرّهبان في أمر هامّ ألا وهو الزواج.

الرابع: إنّ استعمال بعض الصّوفيّة لبعض المصطلحات الخاصّة بالطقوس المسيحيّة ككلمة

الرّهبان والقسّيس وغيرهما لا يدلّ على أنّ التّصوّف الإسلامي مستمدّ من المسيحيّة ويكفي دليلا على ذلك أنّ بعض هذه المصطلحات موجود في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [3].

الخامس: [4] أنّ اللغة العربيّة لا تشتمل على أيّة كلمة تترجم ولو تقريبا كلمة "الميستيسيسم".

هذا وقد ظنّ قوم[5] أنّ التّصوّف الاسلامي مأخوذ من الحبّ المسيحيّ وزعموا أنّ عنصر الحبّ مفقود في القرآن وهذا مردود بنقد أدلّتهم إذ عنصر الحبّ موجود في الكتاب والسنّة تزخر بذكره النّصوص. والمسلم الصّوفيّ ليس في حاجة إلى أن يأخذه من النّصرانيّة أو غيرها. قال الله تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" [6] وقال سبحانه: " وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ" [7]. ثمّ إنّ الحبّ عند النّصارى [8] قاصر على الأقنوم [9] الثّاني من الثّالوث وهو المسيح عليه السلام بينما هو في التّصوّف الاسلامي حال قلبيّ

يورث لصاحبه الإتباع والطاعة فيما أمر به المحبوب[13].

(1) [13]الرسالة القشيرية ص126 دار الكتاب العربي بيروت.

(2) الرعد الآية 26.

(3) من ذلك قول الله تعالى: " لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ". (المائدة 63) وقوله تعالى:" ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" (المائدة 82) وقوله تعالى:" وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا". سورة الحج 40- فهل تدل هذه الأيات على أنّ القرآن متأثر بالنصرانيّة وأنّ الاسلام مأخوذ من المسيحيّة؟ بطبيعة الحال لا بل القرآن كلام الله المعجز المنزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ناسخ لما سبقه من الشرائع، والإسلام هو الدّين الذي ارتضاه الله لعباده إلى قيام الساعة، قال تعالى:" إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " (آل عمران 19) وقال سبحانه:" وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (آل عمران 85).

(4) المنقذ من الضلال بتحقيق عبد الحليم محمود صفحة 232.

ومعلوم أنّ أعظم ما أمر به الله هو التوحيد الخالص المُبرّأ من شوائب الشّرك الذي غرقت فيه النّصرانيّة.

وزعم آخرون أنّ التّصوف قد تأثر بشيء اسمه "التّصوف اليهودي" وهذا الزعم في غاية من الوهن والضّعف ويمكننا ردّه بدليلين:

الدّليل الأول: أنّ المذهب اليهوديّ مذهب ماديّ لا تلائمه مبادئ التّصوّف وأصوله في شيء.

وأمّا الدّليل الثاني: فهو أنّ أكثر الباحثين متفقون [1] على أنّ ما يسمّى بالتّصوّف اليهوديّ لا يرقى إلى ما

---

(5) انظر كتاب التّصوّف في الاسلام د.عمر فرّوخ صفحة 31 وما بعدها.

(6) آل عمران الآية 31.

(7) البقرة الآية 165.

(8) انظر كتاب التّصوّف في الاسلام د.عمر فرّوخ صفحة 31 وما بعدها.

(9) الأقنوم في اللغة هو الركن أو الشخص.

قبل القرن السابع الهجريّ، واليهود قد أخذوا التصوف نظريًا من الأفلاطونيّة الحديثة وعن المسلمين أنفسهم.

والفلسفة اليهوديّة لم تزدهر إلّا بعد ازدهار الفلسفة الإسلاميّة حينما بدأ اليهود بنقل الكتب الفلسفيّة من العربيّة إلى العبريّة [2].

وقال بعض الكتّاب إنّ التّصوف الإسلاميّ مأخوذ من أصل يونانيّ وبالتّحديد من الأفلاطونيّة الجديدة التي أسسّ مذهبها "أفلوطين" (وهو غير أفلاطون الفيلسوف المعروف). ويكفي للردّ على هذا القول أنّ التّصوف الإسلاميّ مُغاير في جوهره للأفلاطونيّة الجديدة إذ هو لا يقرّ أفلوطين على قبول الوثنيّة التي تلقّاها أتباعه والتي أخذها فيما بعد النّصارى، ولا يوافقه كذلك على قبول مبدإ تعدّد الآلهة والقول بنظريّة تناسخ الأرواح وانتقالها من شخص إلى آخر وهو ما أسّس عليه التّصوف الهنديّ المزعوم مذاهبه كالهندوكيّة والبرهمانيّة والفدانتا.

ورأى غيرهم أن المصدر الصيني أكثر المصادر الأجنبيّة أثرا في التصوّف الإسلاميّ، وأهمّ ما استدلوا به على ذلك ما يوجد في التصوّف الصينيّ من عقائد الاتصال والاتحاد التي هي حسب زعمهم أساس المذهب الصوفيّ في الإسلام. وقد تمسّك بهذا الزّعم الباطل أكثر المنكّرين على أهل الله الذّاكرين. وما قد يتفوّه به بعض الصوفيّة من عباراتٍ ظاهرها الحلول والاتحاد فلا يجوز الحكم عليهم بمقتضى دلالة ظاهرها بل لا بدّ من الوقوف على مصطلحهم ومعرفة مقصودهم ومن لم يفعل ذلك خيف عليه أن يدخل في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيّما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" [3]. قال الإمام المَقّريّ [4]:

وموهم المحذور من كـــلام
قوم من الصوفيّة الأعـــلام
جريا على عُرفهم المخصوص
يرجع بالتأويل للنّصـــوص

وذكر الفقيه الأصولي الإسفراييني في كتاب التبصير في الدّين سادس ما امتاز به أهل السنّة عن غيرهم[5] فقال: " هو علم التّصوّف[14] والإشارات وما لهم فيها من الدّقائق والحقائق لم يكن قطّ لأحد من أهل البدعة فيه حظّ بل كانوا محرومين ممّا فيه من الراحة والحلاوة والسّكينة والطّمأنينة.

وقد ذكر أبو عبد الرّحمان السّلمي من مشائخهم قريبا من ألف وجمع إشاراتهم وأحاديثهم ولم يوجد في جملتهم قطّ من ينسب إلى شيء من بدع القدريّة والرّوافض والخوارج. والإمام ابن تيميّة أوّل كلام

---

(1) [14] التّصوّف في الاسلام د. عمر فروخ صفحة 37.

(2) UEBERWG 2 323 ; THILLY 1188 Berlin 1928

(3) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج10 ص514 كتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب الايمان.

(4) تحفة الذاكرين للشيخ سيدي محمد المدني صفحة 17.

(5) التبصير في الدين ص118 ط. السيد عزّت العطّار.

بعض الصوفية الموهم للإتحاد فقال في مجموع رسائله [1]: " وأمّا قول الشاعر في شعره:

أنـــــا من أهوى ومن أهـــوى أنا

فهذا إنّما أراد به الشاعر الإتّحاد المعنويّ كاتّحاد أحد المُحبّين بالآخر، الّذي يحبّ أحدهما ما يُحِبّ الآخر، ويبغض ما يبغضُه، ويقول مثلما يقول، ويفعل مثلما يفعل، وهذا تشابه وتماثل لا اتّحاد العين بالعين، إذا كان قد استغرق في محبوبه حتّى فني به عن رؤية نفسه، كقوله الآخر:

غِبتُ بكَ عنّـــــــي فظننتُ أنّكَ أنّي

فهذه الموافقة هي الاتّحاد السّائغ.اهـ

قال الشيخ محيي الدين بن عربي في عقيدته الوسطى:" إعلم أنّ الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أنّ يحلّ فيه شيء أو يحلّ هو في شيء أو يتّحد في شيء" [2]

وقال في باب الأسرار:" لا يجوز لعارف أن يقول أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا

القول حاشاه إنّما يقول:" أنا العبد الذّليل في المسير والمقيل".اهـ [3]

قال العلّامة جلال الدين السّيوطي في الحاوي[4]:" واعلم أنّه وقع في عبارة بعض المحقّقين لفظ الإتّحاد إشارة منهم إلى حقيقة التّوحيد. فإنّ الإتّحاد عندهم هو المبالغة في التّوحيد، والتّوحيد معرفة الواحد الأحد، فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهم فحملوه على غير محلّه فغلطوا وهلكوا بذلك... إلى أن قال:" والحاصل أنّ لفظ الإتّحاد مُشترِكٌ فيطلق على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول وهو كفر، ويطلق على مقام الفناء اصطلاحا اصطلح عليه الصّوفيّة، ولا مُشاحّة في الاصطلاح، إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح لا محذور فيه شرعا. ولو كان ممنوعا، لم يجز لأحد أن يتفوّه بلفظ الاتّحاد وأنت تقول:" بيني وبين صاحبي زيد إتّحاد". وكم استعمل المحدّثون والفقهاء والنّحاة وغيرهم لفظ الإتّحاد في معان حديثيّة وفقهيّة ونحويّة...اهـ

ويؤيّد ذلك ما أخرجه البخاريّ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، [5]قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، "إنّ الله تعالى قال،" من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحَبَّ إليّ ممّا افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى قال،" من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ ممّا افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه.". فظاهر هذا الحديث يوهم القول بالاتّحاد[15] ، ولكن

---

(1) [15]مجموعة رسائل ابن تيميّة ص52 مطبعة العامرة الشرقيّة بمصر 1323هـ

(2) الفتوحات المكيّة ج1 ص 80 و81 وكذلك بالنّسبة لليواقيت والجواهر للشعراني.

لمّا علمنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سيّد المُوحّدين والهادي إلى الصّراط المُستقيم أدركنا بيقين أنّ المقصود المشار إليه في الحديث أمر آخر فوجب حينئذ الخروج بالكلمة عن ظاهر دلالتها والجنوح إلى التّأويل الصّحيح وإلّا فمن اعتقد أو ادّعى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول بالاتّحاد فهو مفتر كذّاب. قال الامام اللّقاني في جوهرة التّوحيد:

---

(3) الفتوحات المكيّة ج1 ص 80 و81 وكذلك بالنّسبة لليواقيت والجواهر للشّعراني.

(4) الحاوي للفتاوي ج 2 ص 134 وما بعدها المطبعة الميمينية بمصر 1352هـ.

(5) رواه البخاريّ في كتاب الرقائق باب التواضع وقال الذهبي هذا حديث غريب جدّا ولو لا هيبة الجامع الصحيح لعدُّوه من منكرات خالد بن مخلد لغرابة لفظه وانفراد شريك به وليس بالحافظ ولم يرد هذا المتن إلّا بهذا الإسناد ولا خرّجه غير البخاريّ اهـ. من حاشية المدابغي على الفتح المبين بشرح الأربعين ص283 دار الكتب العلميّة بيروت 1398هـ -1978م

وكــلّ نصّ أوهــم التّشبيـــها

أوّله أو فوّض ورُمْ تنزيـــهَا

وقال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي عند شرح هذا الحديث ما نصّه [1] : " فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كلّ ما سواه ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه ولا إرادة إلّا لما يريده منه مولاه فحينئذ لا ينطق العبد إلّا بذكره ولا يتحرّك إلّا بأمره فإن نطق نطق بالله وإن سمع سمع به وإن نظر نظر به وإن بطش بطش به فهذا هو المراد بقوله: " كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله الّتي يمشي بها. " ومن أشار إلى غير هذا فإنّما يشير إلى الإلحاد من الحلول والإتّحاد والله ورسوله بريئان منه.اهـ[2]

قال الإمام سهل التّستُري[3]: " أصول طريقتنا سبعة، التّمسّك بالكتاب، والإقتداء بالسنّة، وأكل الحلال، وكفّ الأذى، وتجنّب المعاصي، ولزوم التّوبة، وأداء الحقوق. اهـ

فالتصوّف إذن لا يؤخذ من بطون الكتب ولا يدرك بالأقوال، بل يُتحصّل عليه من صـدور العارفين بالله.

وهذا أمر لا يُعلم فيه مخالف من الصّوفيّة رضي الله عنهم، إذ كلّهم متفقون على أنّ من انكبّ على مطالعة الكتب والدّراسات لا يدرك شيئا من التّصوّف ولا يُسمّى صوفيّا. فهذا الإمام الغزاليّ رحمه الله قد قرأ كتب الصّوفيّة واطّلع على الفلسفات اليونانيّة ولكنّ ذلك لم يجعل منه صوفيّا، بل تبيّن له أنّ أخصّ خواصّ الصوفيّة[16] ما لا يمكن الوصول إليه بالتّعليم، بل بالذّوق والحال وتبدّل الصّفات [(1)].

---

(1) [16]جامع العلوم والحكم ص 389 دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر بالاسكندريّة.

(2) قال العلامة ابن حجر العسقلانيّ في فتح الباري ج 11 ص 342 عند شرح الحديث ما نصّه " وقال الطّوفي اتفق العلماء ممّن يعتدّ بقوله أنّ هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنّه سبحانه ينزّل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يُبصِر وبي يبطش وبي يمشي." اهـ وقال الحافظ ابن حجر الهيثمي في الفتح المبين ص

قال الجنيد رحمه الله :" ما أخذنا التصوف عن القيل والقال والمراء والجدال وإنما أخذناه عن الجوع والسهر وكثرة الأعمال". (2)

وقال العلامة ابن عاشر في متن المرشد المعين:

يصحب شيخا عارف المسالك

يقيـه في طريقه المـــهالك

يُـــذكـــــره الله إذا رآه

ويُوصــــل العبد إلى مولاه

---

272 "وزعمُ الاتحاديّة والحلوليّة بقاء هذا الكلام على حقيقته وأنّه تعالى عينُ عبده أو حالٌ فيه ضلال وكفر إجماعا فاحذرهم فإنّهم ربّما لبّسوا على ضعفاء العقول فاستهووهم وأضلّوهم لتزيّيهم بزيّ الصّوفيّة. والصوفيّة بريئون منهم فقاتلهم الله أنّى يؤفكون. نعم ربما ظنّ من لا معرفة لهم باصطلاحهم من عباراتهم ذلك، وهو فهم باطل عليهم حاشاهم من ذلك وطهّر أسرارهم من أن تزلّ قدم المحبّة في سائر المسائل. اهـ

(3) شرح المباحث الأصليّة لابن عجيبة وطبقات الصوفيّة للسلمي ص210 مطبعة دار الكتاب 1372هـ.

ويقول أحمد بن محمّد التّجيبي:

وإنّما القوم مسافرونا
لحضرة الحقّ وظاعنونا
فافتقروا فيه إلى دليل
ذي بصر بالسّير والمقيل
قد سلك الطّريق ثمّ عاد
ليُخبر القوم بما استفاد

وقد تلقّى الصّوفيّة طريقهم شيخا عن شيخ وكابرا عن كابر بالإسناد الصّحيح المتّصِل برسول الله صلى الله عليه وسلّم. والمعلوم أنّ الإسناد من أعظم خصائص أمّة الإسلام إذ لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

يقول العلّامة ابن خلدون في مقدّمته [3]:" وهذا العلم - أي التّصوّف- من العلوم الشّرعيّة الحادثة في الملّة وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية. وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدّنيا

وزينتها والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق والخلوة للعبادة وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف، فلما فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفيّة"اهـ

وما ذهب إليه ابن خلدون هو الصّواب الذي لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم المحقّقين كأبي حنيفة ومالك والشّافعي وأحمد والقشيريّ والغزاليّ والرّازي والنّوويّ وابن تيميّة والشّاطبيّ وغيرهم رضي الله عنهم فإنّهم مع سعة إطّلاعهم وشدّة اتّباعهم لو علموا أنّ أصل التّصوف مسيحيّ أو يهوديّ أو هنديّ أو غير ذلك ما أثنوا عليه وعلى أهله خيرا ولنبذوه من أصله ولكن كلامهم وشهاداتهم مدوّنة تزخر بها المؤلّفات. (4)17

---

(1) [17]المنقذ من الضلال بتحقيق عبد الحليم محمود ص 122 – ص123 –ص124.

وقد عقد الإمام الشاطبيّ في كتابه الإعتصام (1) فصلا بيّن فيه حرص الصوفيّة على الإتّباع ونبذهم للابتداع وممّا جاء فيه:" وأنّ الصوفيّة الذين نسبت إليهم الطّريقة مُجمِعون على تعظيم الشّريعة مقيمون على متابعة السنّة غير مخلّين بشيء من آدابها، أبعد النّاس عن البدع وأهلها ولذلك لا نجد منهم من يُنسب إلى فرق من الفرق الضالّة، ولا من يميل إلى خلاف السُنّة وأكثر من ذكر منهم علماء وفقهاء ومُحدّثون وممّن يؤخذ عنه الدّين أصولا وفروعا ومن لم يكن كذلك فلا بدّ له من أن يكون فقيها في دينه بمقدار كفايته."

---

(2)شرح المباحث الأصليّة والرسالة القشيريّة ص22 بعبارة تقاربها.

(3)مقدّمة ابن خلدون ص467 بيروت الطبعة الثالثة المطبعة الأدبيّة – 1900م.

(4) انظر شهادات علماء الأمّة الإسلاميّة في كتاب حقائق عن التّصوّف ص565 إلى ص612.

3- الصّوفيّة والمتصوّفة والأدعياء

عرّف الإمام الغزاليّ [2] رحمه الله تعالى الصوفية بأنهم السّالكون لطريق الله تعالى خاصّة، وأنّ سيرتهم أحسن السّير، وطريقهم أصوب الطُرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيّرُوا شيئا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدّلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا. فإنّ جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبّوة، وليس وراء نور النبّوة على وجه الأرض نور يستضاء به. اهـ

وعرّفهم ذو النّون المصريّ [3] بأنهم قوم آثروا الله على كلّ شيء فآثرهم الله على كلّ شيء.

وعرّف سهل التّستريْ الصّوفيّ بأنّه من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله عن البشر، واستوى عنده الذّهب والمدر[4].

وعرّفه أبو تراب النّخشبيّ [5] بأنّه هو الذي لا يكدّره شيء، ويصفو به كلّ شيء.

فالصوفيّة إذن هم الواقفون على قواعد الشريعة التيّ لا تنهدم، حيث قعد النّاس على الرّسوم. ظاهرهم في مجاهدة، وباطنهم في حضور ومشاهدة. صفت قلوبهم فأطلعهم الله على حقائق التوحيد، وأنطقهم بالحكمة. "أولئك هم أهل الوُصول".

أمّا المتصوّفة، فهم الذين عاشروا الصوفيّة وجالسوهم، وتأدّبوا بآدابهم، وأخذوا من أقوالهم، واقتدوا بأفعالهم، لكنّهم لم يتحقّقوا بحالهم. "وهؤلاء هم أهل التبرّك".

جاء في الرّسالة القشيريّة [6] قال الأستاذ:" هذه التّسمية غلبت على هذه الطّائفة فيقال رجل صوفيّ وللجماعة صوفيّة ومن يتوصّل إلى ذلك يقال له متصوّف وللجماعة متصوّفة.اهـ

وقال السّهروردي [7] :" ومن تطلّع إلى مقام المقرّبين من جملة الأبرار فهو متصوّف ما لم يتحقّق بحالهم فإذا

تحقّق بـحالهم[18] صار صوفيّا ومن عـداهما مـمّن تـميّز بزيّ ونسـب إليهم فهو متشبّه...إلى أن قال [(1)] : " فالمتشبّه صاحب إيمان والمتصوّف صاحب علم لأنّه بعد الإيمان إكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدلّ بها على سائرها والصّوفيّ

---

(1) [18]الإعتصام ج1 ص 67 – 74 تحقيق الأستاذ أحمد عبد الشّافي الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م دار الكتب العلميّة بيروت.

(2) المنقذ من الضلال ص127

(3) فلاسفة العرب ، ابن الفارض ليوحنا قمير ص11.

(4) التّصوّف والطريق إليه ص 18.

(5) الرسالة القشيريّة ص 127.

(6) الرسالة القشيريّة ص126.

(7) عوارف المعارف للسهروردي ص18 دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية 1403هـ.

صاحب الذوق. فللمتصوّف الصّادق نصيب من حال الصّوفيّ وللمتشبّه نصيب من حال المتصوّف".اهـ

وأطلق بعض الكتّاب كلمة مُتصوّفة على كلّ من تشبّه بالصّوفيّة تشبُّها سلبيّا فوافقهم في بعض الأقوال وخالفهم في الأفعال والأحوال "وهؤلاء هم الأدعياء".

قال الشيخ عبد القادر عيسى [2]: " لقد شوّه التّصوّف رجال مغرضون تزيّنوا بزيّه، وانتسبوا له، فأساؤوا إليه بأقوالهم، وأفعالهم، وسيرتهم، والتّصوّف منهم براء".

وقال أيضا [3]: " هناك فرق كبير بين المتصوّف والصّوفيّ وليس المتصوّف بانحرافه وشذوذه ممثّلا للتّصوّف كما أنّ المسلم بأفعاله المنكرة ليس ممثّلا لإسلامه ودينه. ومتى كان في شريعة الحقّ والدّين أن يؤاخذ الجار بظلم الجار؟ وأن يتحمّل الإسلام في جوهره النقيّ أخطاء المسلمين المنحرفين؟ وأن تنسب إلى هذه الفئة الطيّبة النّقيّة أخطاء المتصوّفة الشّاذين؟"اهـ

وقال أبو حامد رحمه الله [4]: " إنّ المحققّين قالوا : " لو رأيت إنسانا يطير في الهواء ويمشي على الماء، وهو يتعاطى أمرا يخالف الشّرع، فاعلم أنّه شيطان".

وقد تستعمل اليوم كلمة متصوّف ويراد بها معنى آخر غير الذي سبق ذكره من المعاني إذ هي تطلق على الشّخص الذي لا يتجاوز تصوّفه لسانه وعقلَه، ولأنّه أخذ بدراسة الكتب والمؤلفات، دون ممارسة أو إدراك قلبيّ.

فالتّصوّف النّظريّ هو الذي أسّسته فلسفة عقليّة، ووضع للدّرس والمطالعة فقط، لا للعمل بمحتواه، وهو محيط واسع يخوضه العقلانيّون.

ولقد قام كثير من الباحثين بدراسة آثار الصّوفيّة، واعتنوا بها عناية فائقة، فحقّقوا الكثير منها وقدّموا لها، معجبين تارة، وناقدين طورا، ومحذّرين أو منكرين تارة أخرى.

ومن بين أولئك الباحثين نجد المستشرق الفرنسيّ ماسينيون حيث ألّف كتابا سمّاه الأصول القديمة للتّصوّف الاسلامي [5] دافع فيه عن التّصوّف ونشأته

الإسلاميّة، وفنّد فيه آراء المستشرقين الآخرين الذين ادّعوا أنّ للتّصوف جذورا مسيحيّة أو يهوديّة أو بوذيّة[19]...

وهكذا يبقى التّصوّف النظريّ مقتصرا على التحليل العقليّ المجرّد، خاليا من دواعي التأثير على القلوب، إلّا أنّه ربّما يؤدّي ببعض الدّارسين من المستشرقين إلى إعتناق الإسلام، كأمثال: رينه جينو من مفكّري العصر الحاضر، أسلم وسمّى نفسه عبد الواحد يحيى، كان إسلامه ثورة كبرى هزّت ضمائر الكثيرين من ذوي البصائر النيّرة، فاقتدوا به، واعتنقوا الاسلام، وكوّنوا جماعة مؤمنة تعبد الله

---

(1) [19]عوارف المعارف للسهروردي ص66 دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية 1403هـ.

(2) حقائق عن التّصوّف ص558.

(3) نفس المصدر السابق.

(4) المنقذ من الضلال ص19.

LES ORIGINES ARCHAIQUES DU MYSTICISME (5)

في محافل الكاثوليكيّة في فرنسا و سويسرا، وقد بيّن هذا الحكيم سموّ التصوّف الإسلاميّ وروعته، وقارن بينه وبين التصوّف المسيحيّ المزعوم، وأبطل الدّعاوى والرّوايات الكاذبة في هذا الشأن، فدار اسمه في أوروبا قاطبة، وفي أمريكا، فحرّمت الكنيسة قراءة كتبه. والكنيسة لا تفعل هذا إلّا مع كبار المفكّرين الذين تخشى خطرهم [1].

4- أهميّة التصوّف وحاجة النّاس إليه:

إنّ العلوم الماديّة بلغت درجة مرموقة من الرقيّ، بعد أن قطعت شوطا بعيدا في التطوّر والشّمول. غير أنّه مع هذا التقدّم الماديّ فإنّ دنيا النّاس لازلت حبلى بمظاهر الحيرة والإضطراب والبأس والشّقاء، ولازال أهل المعمورة متلهّفين إلى ما يزيل حيرتهم، ويبدّد مخاوفهم، ويبعث فيهم بريق الأمل، ويحقّق لهم الرّخاء والسّلام، وينشر عليهم السعادة والأمان. وإنّهم غير مدركيه إلّا بالإسلام. والمقصود : الإسلام بأركانه الثلاثة: الإيمان والإسلام والإحسان.

غير أنّ عددا هائلا من المسلمين اليوم تخلوا عن ركن الإحسان الذي هو لبّ الدّين وثمرته، فأصبحوا لا يملكون من الإسلام إلا إسمه، ولا يعلمون إلا رسمه. أسلموا وآمنوا، ولكن لم يحسنوا.. فكان من نتائج ذلك أن فقدوا أسباب المناعة وبواعث القوّة في دنياهم. وكان من نتائج ذلك أيضا أن غفلوا عن مراقبة الله في السرّ والعلن. فتفشّى الغشّ، والرّياء، والكبر والعجب، والخيانة، والغدر، والتّهافت على حطام الدّنيا، فظهر داء الأنانيّة، ممّا أورث الوهن في النّاس.

ومن هنا تبرز جليّا أهميّة التّصوّف والضّرورة إليه لإحياء الشّعور الدّيني، وإذكاء الوُجدان الرّوحيّ، والسموّ بالبشريّة عن حظوظها النّفسيّة، والرقيّ بها إلى درجات الكمال الإنسانيّ.

وفي حديثه عن التّصوّف في ندوة لواء الإسلام، ذكر الدكتور محمّد أبو زهرة [2] أنّ شبابنا اليوم قد استهوته الأهواء، وسيطرت على قلبه، فأغرته دور السّينما والمجلّات الفارغة، والإذاعات اللّاهية. وبيّن أنّ

الأهواء إذا سيطرت على جيل من الأجيال، أصبحت خطب الخطباء لا تجدي، ومواعظ الوعّاظ لا تؤثر. إذن فلا بدّ للنّاس من طريق آخر للإصلاح، إنّه سلوك طريق التربية، تربية نفوس الشباب وتهذيبها، بواسطة الشيخ المربّي ومُريديه. انتهى بتصرّف.

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:" إيّاكم والحسد فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب أو قال العشب"[20](3).

ولقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوجّه إهتمامات الصحابة رضي الله عنهم لإصلاح قلوبهم إذ

20

(1) المنقذ من الضلال ص 223 و224 بتصرّف.

(2) مجلّة لواء الإسلام عدد 12 شعبان 1379هـ ندوة لواء الإسلام "التصوّف في الإسلام" ص758و766.

(3) رياض الصالحين ص 441 وقال السيوطي في الجامع الصغير ج1 ص 116 سنده ضعيف.

صلاح الإنسان متوقف على صلاح قلبه الذي هو محل نظر ربّه وبهذا تستقيم الجوارح ويتقوّى الإيمان وترسخ العقيدة ويشهد لهذا ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم".[1]

وروى البخاريّ ومسلم عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:" ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صَلَحَتْ صَلَحَ[2] الجسد كلّه وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسد كلّه ألا وهي القلب.[3]

وهكذا تتأكّد حاجة الفرد إلى التّصوّف الحقّ، أو نقول إلى التحقّق بمقام الإحسان.

ولا بدّ له عندئذ من شيخ، مرشد، محقق، خبير بأمراض القلوب، عليم بدسائس النّفوس، ماهر في أسلوب التّذكير، ينقله من حال إلى حال ومن مقام إلى آخر، "فالمرشدون لهم تأثير غريب في بواطن مريديهم يرفعونهم من حضيض المعصية إلى مستوى الطّاعة

إلى الرّفيق الأعلى من الحضور مع المعبود جلّ جلاله وتقدّس كماله"[4].

وإلّا فـ " من لو يكن خلف الدّليل مسيره كثرت عليه طرائق الأوهام"

وما دام صلاح الإنسان متوقّفا على صلاح قلبه، وجب العمل على إصلاحه. ومن أوكد وسائل الإصلاح تحصيل علم التصوّف، وحكمه الوجوب.

قال حجّة الإسلام الغزالي [5]:" الدّخول مع الصّوفيّة فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب إلّا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام."اهـ

وقال بعضهم "القلب كالمعدة، والمعدة بيت الدّاء، فإذا كثرت عليها الأخلاط مرضت وفسدت، وعلاجها الحمية من الأخلاط. وكذلك القلب إذا كثرت عليه الهموم والخواطر فسدت فكرته، وانطمست مرآة بصيرته. وإذا قلّت منه الهموم والخواطر سلمت فكرته وانصقلت مرآته." اهـ

وممّا يدلّ على أهميّة التّصوّف وقيمته ما نقل عن العلماء من وجوب تلقّيه والإعتناء به وتحصيله. قال العلّامة ابن زكري:

علم به تصفية البواطـــن
من كدرات النّفس في المواطن
به وصول العبد للإخلاص
روح العبادة بالإخـــتصاص
وذاك واجب على المكلّف
تحصيله يكـــون بالمـعرّف

وقال الشيخ الأبياري في كتاب سعود المطالع ما نصّه(6)[21]:"اتّخاذ شيخ عالم عارف بعلاج النّفس الأمّارة

---

(1) [21] في كتاب البرّ والصلة

(2) يجوز في صلح وفسد الفتح والرّفع والفتح أفصح.

(3) البخاريّ في كتاب الإيمان ومسلم في كتاب المساقاة.

(4) اللحظة المرسلة على حديث حنظلة للشيخ سيدي محمّد المدني ص9 ط 2 -1404هـ

(5) النصرة النبويّة لمصطفى المدني على هامش شرح الرائيّة القابسي ص26 مطبعة العامريّة مصر 1316 هـ

ودسائسها الخفيّة يطهّر الإنسان من النّجاسة المعنويّة، فرض عين كما نصّ عليه الغزاليّ وابن عبد السلام والسبكيّ والسيوطيّ من السادة الشافعيّة، وشيخ الإسلام والنّاصر اللّقاني وزرّوق من السّادة المالكيّة، وخير الدّين الرّملي والحمويّ من السّادة الحنفيّة، والهرويّ وابن النجّار من السّادة الحنابلة، لأنّ ما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب."اهـ

وقال العلّامة الصّاوي المالكي في حاشيته [1] على تفسير الجلالين عند قول الله تعالى:" الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا" [2] ما نصّه:" والمعنى اسأل عنه خبيرا أي عالما بصفاته يطلعك على ما خفي عليك، والخبير يختلف باختلاف السّائل. فإن كان السّائل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فالخبير هو الله. وإن كان السّائل أصحابه فالخبير النبيّ. وإن كان السّائل التّابعين فالخبير الصّحابة عن النبيّ عن الله وهكذا، فآل

(6) رسالة النّاصر معروف للشيخ سيدي أحمد العلاوي ص 676 الطبعة الأولى 1931م مطبعة التوفيق دمشق.

الأمر إلى المشائخ العارفين يفيدون الطالب عن الله، وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد."اهـ

"والتصوف الإسلاميّ السنّي الخالص إيجابيّ لا سلبيّ فيأخذ طالبه والسالك فيه بأسباب الدّنيا وأسباب الآخرة ويجعل ممارسته بالعلم والعمل والحال عاملا نافعا بجسده في الدنيا وبنيّته مستقبلا للآخرة. وأمّا قلبه فيكون دائما مع الله ابتغاء لمرضاته وطلبا لرضوانه وبهذا وذاك يكون التصوّف الحقّ زادا لقلوب الصّدّيقين وشعارا لعباد الله الصّالحين. وذلك لأنّ الصّوفيّ الحقّ إذا رأيته أو عاشرته أو عاملته أو جاورته أو صاحبته علمت أنّه رجل دائب الفكر كثير الذّكر دائم العبرة غزير الحكمة محبّ للعلم كاره للجدَل وهو قليل المنازعة في الأمور سهل المراجعة للصّواب وهمّته دائما محصورة في البحث عن الحقّ ولو ظهر على لسان غيره من الخلق وأنّه وراء ذلك أوسع النّاس صدرا وأقبلهم لهم عذرا وألينهم للحقّ قيادا وأصعبهم على الباطل مراسا وأعزّهم نفسا وأعفّهم شخصا وأكثرهم

وداً وأعمقهم حباً وأدومهم مثابرة وصبرا وأوفاهم عهدا وأكثرهم أدبا."اهـ [3]

يقول الأستاذ أبو الحسن عليّ الحسنيّ الندويّ عضو المجمع العلميّ العربيّ بدمشق ومعتمد ندوة العلماء بالهند في بحث: الصوفيّة في الهند وتأثيرهم في المجتمع (4): " إنّ هؤلاء الصّوفيّة كانوا يبايعون النّاس على التّوحيد والإخلاص واتّباع السنّة والتوبة عن المعاصي وطاعة الله ورسوله ويُحذّرون من الفحشاء والمنكر والأخلاق السيئة والظّلم والقسوة ويرغّبونهم في التحلّي بالأخلاق الحسنة، والتخلّي عن الرّذائل مثل الكبر والحسد والبغضاء وحُبّ الجاه، ويحثّونهم على تزكية النّفس وإصلاحها ويعلّمونهم ذكر الله والنّصح لعباده والقناعة والإيثار.

فقد كان تأثير الصوفيّة في الحياة العامّة، وأخلاق المجتمع كبيرا، فمن ذلك أنّ الشّيخ مُحمّد معصوم (المتوفّى سنة 1079هـ) بن الشّيخ أحمد السّرهنديّ بايعه وتاب على يديه تسعمائة ألف من الرّجال، على ما ذكره صاحب نزهة الخواطر.

ومن ذلك أيضا، ما ذكره مؤرخ الهند الشهير القاضي ضياء الدّين البرني من أنّ السّنوات الأخيرة من عهد السّلطان علاء الدّين بالهند امتازت بكساد سوق المنكرات من الخمر والغرام والفسق والفجور والميسر والفحشاء بجميع أنواعها بفضل مشائخ التربية أمثال شيخ الإسلام نظام الدّين وشيخ الإسلام ركن الدّين[22] الخاتمة.

وخلاصة القول، إنّ التّصوّف ركن تقرّه النّصوص الشرعيّة، وتفرضه حاجة النّاس الأكيدة إلى قوت روحيّ، يحيي القلوب، ويغذّي الأرواح، ويروي النّفوس، وينير البصائر، ويوقظ الضّمائر، ويطهّر السّرائر،

(1) [22] حاشية الصاوي على الجلالين ج 3 ص 163 دار الفكر.

(2) الفرقان الآية 59.

(3) التصوف الاسلامي الخالص ص11 و12.

(4) كتاب المسلمون في الهند ص140 و146 مكتبة دار الفتح دمشق 1381هـ.

ويهذّب المشاعر...قوت يتوصّل إليه عن طريق ترويض الرّوح على يد الأشياخ العارفين، ولا يتأتى هذا إلا بسلوك طريق الصّوفيّة.

والطّرق الصّوفيّة، بفضل الله، منتشرة بانتشار الأرض، باقية ببقاء الإسلام، ولن تزال طائفة من الأمّة ظاهرين على الحقّ، لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

وقد أنعم الله سبحانه على قطرنا بعديد الطّرق، أوسعها في هذا العصر اشتهارا، وأكثرها انتشارا، وأوفرها أتباعا، وأكثرها أشياعا،"الطّريقة المدنيّة" نسبة لمؤسّسها العالم النّحرير، والصوفي الكبير، العارف بالله، الشيخ سيّدي محمّد المدني رضي الله عنه ، وقد تلقّاها بدوره عن الصوفيّ الأكرم، المشهور بتلقين الاسم الأعظم، الشيخ سيّدي أحمد العلاوي المستغانمي من القطر الجزائري، وهكذا كابرا عن كابر بالسّند المتّصل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

لقد أسسَ الشّيخ المدني رضي الله عنه طريقته على دعائم قويّة، بجهاده واخلاصه، وصدقه، ونزاهته، فبايعه خلق كثير لا يحصون، وتاب على يديه الفسقة والمجرمون واللصوص، وواظبوا على الصّلاة، وعضّوا عليها بالنّواجذ، وارتبطت قلوبهم بالله تعالى، وانتفعوا بصحبته انتفاعا كبيرا، وفتح على الكثير منهم فتحَ العارفين...ولا تزال الطّريقة المدنيّة، والحمد لله، مدرسة لتربية الأجيال، والعلماء العاملين والرّجال العَارفين.

حقيقة التصوف

بقلم

الشيخ الدكتور عبد الله كوتي

(السنغال)

التصوف هو قلب الإسلام وجوهره وبعده الروحي، إذ إن هدف الإسلام ورسالته الرقي بروح الإنسان وفطرته إلى أسمى الدرجات وأرفع المنازل، وتفجير ينابيع المحبة والوجد المكنونة في فؤاده، عبر الفيض الروحاني الذي ترفده السماء بمدد رباني، لا سيما عندما يعيش أهل العزائم والمجاهدات هذه المعاني شاخصة في الأخلاق والسلوك . مما يعني أن التصوف هو المحضن التربوي الأمثل، والفرع الأسمى الذي ينبت الثمرة في شجرة العلم الوارقة، وحديقة الإسلام الغناء.

والسؤال هنا من هم المستهدفون من الكتابات الصوفية ؟

من المعلوم أن الكتابات النفيسة قد توالت طوال عمر التصوف، مرشدة أهله، مخاطبة إياهم على مستويات ثلاثة :

المستوى الأول: أرباب التفكر العميق الذين ارتقوا مراتب عالية من التصوف (الخواص).

المستوى الثاني: التفكر المتوسط.

المستوى الثالث : طبقة العامة الواسعة (العوام).

فكتابات مثل " فصوص الحكم " لابن عربي (1240)، و " الإنسان الكامل" لعبد الكريم الجيلاني (1403) يخاطبان أرباب التفكر العميق الواسع.

أما كتابات مثل " المثنوي " لجلال الدين الرومي(1237) فهي موجهة أحيانا للعقول المتفكرة وأحيانا أخرى لذوي الفكر المتوسط.

وثمة أعمال أخرى مثل " أنوار العاشقين" لأحمد بيجان(عاش في القرن الخامس عشر) ، و " المحمدية " ليازجي اوغلو محمد (1492)، وهذا الصنف من الكتب يخاطب العوام ، ويهدف إلى ايصال المسلمين الذين استطاعوا إدراك الحقائق الشرعية إلى أعلى مستوى معين ممكن في الشعور والإدراك والسلوك.

وهكذا نلاحظ أن تنوع الكتابات حول التصوف - في حقيقته - بهذا الشكل يهدف إلى تمكين الخواص والعوام في المجتمع من فهم الإسلام، وإدراك حقيقته وتطبيق تعاليمه ومفاهيمه الواسعة الى اقصى درجة، لكل حسب إدراكه وقدرته.

لمحة تاريخية

عن التصوف الإسلامي في أفريقيا

"السنغال نموذجا"

بقلم

الدكتور محمد المختار جي

باحث أكاديمي

ورئيس التجمع الوطني للثقافة الإسلامية بالسنغال



مقدمة: كان الإسلام في السنغال ولم يزل اسلاما صوفيا او طرقيا، ويكاد يجمع أغلب السنيغاليين على ضرورة الانتساب إلى طريقة صوفية وأنه لا يتم إسلام المرء دون تعلق بشيخ صوفي يهديه ويرقيه وذلك اتباعا للاثر الصوفي "من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه".

وعلى هذا فالسنغالي أما ان يكون منتميا إلى الطريقة القادرية او إلى الطريقة التيجانية ، او الى الطريقة المريدية التي أسسها الشيخ السنغالي أحمد بامبا.

لمحة عن التصوف الإسلامي في السنغال:

التصوف الإسلامي مظهر من مظاهر الزهد الذي تطور في العصر الأول للإسلام وخاصة زمن الصحابة والتابعين، علما بأن الحياة الروحية نمت وتطورت داخل المنظومة الاسلامية ،وهذا ما رآه ابن خلدون انه تطور إلى علم حادث في العلوم الشرعية له أفكاره ونظرياته و تياراته.

وقد ظهر التصوف الإسلامي في السنغال منذ عهد المرابطين الذين أدخلوا الإسلام في المنطقة بصفة

رسمية في القرن الحادي عشر الميلادي، وكان يغلب عليهم حياة الزهد والتقشف ومجاهدة النفس.

وعرفت الحياة الصوفية في البلاد السنغالية تطورا وازدهارا عندما وفدت إليها الطرق الصوفية من شمال أفريقيا مثل الطريقة القادرية ، والتيجانية ، والشاذلية وغيرها.

فالإسلام في السنغال إسلام صوفي طرقي ، ويكاد يجمع معظم السنيغاليين على ضرورة الإنتساب إلى طريقة صوفية ، ولا يتم إسلام المرء دون تعلق بشيخ صوفي يهديه ويرقيه وذلك اتباعا واعتقادا بالاثر الصوفي القائل "من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه". وعلى هذا فالمواطن السنغالي إما أن يكون منتميا إلى الطريقة القادرية او التيجانية، أو الطريقة المريدية المحلية التي أسسها أحد أبناء البلاد وهو الشيخ أحمد بامبا.

**انتشار الطرق الصوفية وتوسعها:

أخذ التصوف الإسلامي طابعا طرقيا منذ القرن السادس للهجرة، واحتل مكانة هامة في الحياة

الدينية الإسلامية، وقد أصبح للتصوف نظام خاص يتمثل في وجود شيخ يتجمع حوله اتباعه ومريدوه في اماكن خاصة أطلقت علبها تسميات مختلفة باختلاف الازمنة والأمكنة وذلك مثل الرباط والزوايا والخانقاه، كما كانت له شروط معينة ينبغي التمسك والالتزام بها وذلك كممارسة الاذكار والاوراد والانقياد التام للمريد، ويطلق على من ينضم الى الطريقة اسم المريد بينما يطلق على أعضاء الجماعة الإخوان، ويمر هذا المريد بمراحل مختلفة إلى ان يصل إلى درجة الشيخ او القطب او الغوث او الرباني وهي أعلى المراتب في الطرق الصوفية.

أما تاريخ تأسيس الطريقة الصوفية فيرى بعض المؤرخين للتصوف الاسلامي انه تم قبل الغزو المغولي اي قبل تاريخ 1258م ،فقد ظهرت في العراق الطريقة الجنيدية ، والحلاجية، والتسترية ، وغيرها ، وذلك نسبة إلى مؤسسيها .

ويبدو ان الطرق الصوفية ظهرت وانتشرت بشكل أوسع في القرن السادس الهجري وذلك منذ ظهور

الطريقة القادرية نسبة الى عبد القادر الجيلاني (ت561هج)والرفاعية نسبة إلى احمد الرفاعي (ت 578هج) كما ظهرت في القرن السابع الهجري طرق اخرى مثل الطريقة الشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي ، وقد انتشرت هذه الطريقة في بلاد المغرب ومصر وأفريقيا جنوب الصحراء. وبعد القرن الثامن الهجري توسع نطاق الطرق الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي من بلاد الصين شرقا إلى السنغال غربا. (1(فقد ظهرت في السنغال الطريقة المريدية التي اسسها الشيخ اجمد بامبا امباكي (-ت 1927م) . (2).

** الطرق الصوفية في السنغال:

يدين أكبر الشعب السنغالي بالديانة الإسلامية إذ تمثل نسبة المسلمين به 100/95، ولكن جلهم ينتمون إلى الطريقة الصوفية ولا يتصور في العقلية السنغالية أن يكون الإنسان مسلما اذا لم يتمسك بواسطة او بشيخ صوفي.

ويرى أحد الباحثين ان الطريقة الصوفية التقت في أكثر من نقطة وعن غير قصد مع تركيبة القبيلة الإفريقية إذ أخذت الطرق الصوفية مكان الجمعيات الوثنية الماضية في السنغال . (3.(

وتعتبر الطريقة القادرية اقدم الطرق الصوفية في غرب افريقيا عموما وفي السنغال خصوصا ، ويرى أكثر الباحثين ان القادرية دخلت إلى غرب افريقيا في القرن الخامس عشر الميلادي على أيدي مهاجرين من توات(tawat) واتخذوا من ولاتة أول مركز لطريقتهمثم لجأوا إلى تمبكتو ومنها شقت الطريقة سبيلها إلى السنغال . (4)وقد تم ذلك بواسطة الشيخ أحمد البكاي الكنتي الذي لقي الشيخ عبد الكريم المغيلي وأخذ عنه . (5).وأهم فروع الطريقة القادرية في السنغال هيا فروع انجاسان وفرع الشيخ سعد أبيه وفرع الشيخ محمد الحافظ وهم موريتانيو الأصل لكن ا استوطنوا السنغال واستقروا افيه فنشروا الطريقة القادرية على نطاق واسع وكان لهم اتباع في انحاء البلاد السنغالية .

ولكن من الملاحظ أن الطريقة القادرية بدأت تعرف تراجعا ملحوظا في عدد من الأتباع والمريدين وذلك منذ وصول الطريقة التيجانية إلى غرب افريقيا.

الطريقة التيجانية في السنغال:

انتشرت الطريقة التيجانية في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا منذ حياة المؤسس الشيخ أحمد التجاني، وترجح المصادر التاريخية انه عن طريق موريتانيا تسربت التجانيةإلى البلاد السنغالية وخاصة على يدي الشيخ الموريتاني محمد الحافظ بن المختار الذي اخذ الطريقة على يدي مؤسسها مباشرة (6).

ويرجع إنتشار الطريقة التيجانية بشكل واسع في غرب افريقيا عموما وفي السنغال خصوصا إلى جهود الحاج عمر الفوتي تال التكروري (ت1864). وقد أخذ الشيخ الحاج عمر الفوتي الطريقة التيجانية عن الشيخ مولود فال ، ومرة ثانية عن الشيخ عبد الكريم بفوتا جالون ، وفي عام (1827م) ذهب الحاج عمر إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج وقد لقي

هناك الشيخ محمد الغالي وأعطاه من جديد الورد التجاني بعد ان لازمه ثلاث سنوات وخدم له ثم جعله مقدما للطريقة التيجانية وخليفة للشيخ أحمد التيجاني في البلاد السودانية .

وبعد وصوله إلى أرض السودان قادما من بلاد الحجاز سعى الى نشر الطريقة التيجانية في في أفريقيا وزار العديد من بلدانها كما قابل شيوخها فقد قضى فترة من الزمن في بلاد الهاوسا ،وشارك في الحروب المقدسة مع الخليفة محمد بلو بن عثمان دان فوجو ثم عاد إلى وطنه الأصلي في فوتا تورو واستقر في دنجراي حيث أنشأ زاوية لنشر تعاليم التيجانية.

وقد ترك الحاج عمر مدونات واثارا في التيجانية منها: كتاب (حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم)

كتاب (تذكرة المسترشدين وفلاح الطالبين).

كتاب (ديوان سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة) وغيرها...

فروع التيجانية في السنغال:

ومع الشيخ عمر الفوتي تال تجذرت الطريقة التيجانية في السنغال و تاسست فروع وزوايا في شتى أنحاء البلاد

ومنها : زاوية الحاج مالك سي بتيواون (1853م 1922) وهو من مدينة غايا شرقي دغانا في السنغال ، و من أصل تكروري. وكان الحاج مالك من أكبر علماء البلاد السنغالية. وقد اعتنق الحاج مالك الطريقة التيجانية عن خاله ألفا ما يرو ولي ،كما أخذ إجازات في الطريقة التيجانية عن شيوخ عديدين .

وقد نشر الحاج مالك بدوره الطريقة التيجانية في السنغال على أوسع نطاق وأسس زوايا عديدة في أنحاء البلاد يدرس فيها العلوم اللغوية والإسلامية ويعطي اثنا ءها الورد التيجاني .

وترك الحاج مالك مؤلفات كثيرة في العلوم الإسلامية وفي الطريقة التيجانية خاصة. ومن أهم مؤلفاته:

(كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين).

(افحام المنكر الجاني عن طريق سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أجمد بن محمد التيجاني).

وله أيضا دواوين في الشعر ومن أهمها

(خلاص الذهب) وهو ديوان في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فاكهة الطلاب (أرجوزة في فقه الطريقة التيجانية

نعمة العافي الجاني في نظم وصايا الشيخ أحمد التبجاني

وسيلة المنى في التوسل باسماء الله الحسنى

زجر القلوب .. وغيرها من المصنفات والمدونات التي ألفها الشيخ الحاج مالك وهي في غاية الأهمية.

*زاوية الشيخ الحاج عبد الله نياس:

وتنسب هذه الزاوية الشيخ الحاج عبد الله نياس (1840م 1922م) المعروف بالزهد والصلاح والتقوى .

وقد اعتنق الطريقة التيجانية وقام بنشرها في البلاد السنغالية والغامبية

وقام برحلة إلى فاس بالمغرب عام 1903 لزيارة ضريحة الشيخ أحمد التيجاني . وبقي في الزاوية التيجانية عند الحبيب السفياني ، وكانت له اتصالات بشيوخ زاوية فاس كما تعرف على الشيخ أحمد السائح من من زاوية عين ماضي بالجزائر.

ومن آثار الشيخ الحاج عبد الله انه ترك ولدين عالمين من الطراز الرفيع والعالي في العلم والمعرفة وهما الشيخ محمد نياس، والشيخ إبراهيم نياس الكولخي.

الشيخ محمد نياس (1881 1959م)وقد كان عالما واديبا، وغيورا على التصوف وخاصة الطريقة التيجانية الف العديد من المصنفات للدفاع عنها والرد على هجوم الطريقة.

ومن أهم مؤلفاته (الكبريت الأحمر في مدائح القطب الاكبر).

وكتاب (الجيوش الطلع بالمرهفات القطع إلى ابن ما يابى أخي التنطع) وهو رد على ابن ما يابى الذي هاجم الطريقة التيجانية وبدع صاحبها.

الشيخ الحاج إبراهيم نياس الكولخي (1900م 1975) المعرف بالعلم والصلاح والورع . وقد لعب دورا هاما في توطيد دعائم الطريقة التيجانية في البلاد السنغالية ونشرها في البلاد الإفريقية المجاورة وقد انتشر أتباعه في كل أنحاء العالم .ولذلك كان يعتبر نفسه صاحب الفيضة التيجانية.

وقد ترك الشيخ إبراهيم العديد من المؤلفات في مجالات شتى من العلوم الأدبية والإسلامية .

وكان يقول:

ومن يحبني ومن يراني. في جنة الخلد بلا بهتان

إذ انني خليفة التجاني. موهبة من أحمد العدناني

** زاوية تشانابا:

ويرجع تأسيسها إلى الشيخ أحمد باه ت (1865م) واصله من الأدارسة المغاربة . وقد اعتنق التيجانية

عن الشيخ مولود فال كما أخذ عن الحاج عمر الفوتي في نفس الوقت .وبعد موته لعب ابنه شيخو أحمد دور الشيخ الكبير وقد سن حربا مقدسة ضد الاستعمار الفرنسي ولذلك استشهد في أحد المعارك وهي معركة كوكي المشهورة عام 1875م.

وكان من أكبر اتباعه واخلصهم له واشدهم في ساحة الحرب الشيخ همري انداك سيك يعني أحمد سيك. وطائفة تشانابا معروفة بالمحافظة والصلاح والورع والتقوى و حب الخير.

** الطريقة الشاذلية في السنغال:

الطريقة الشاذلية طريقة تميزت بالطابع السني، وتنسب إلى مؤسسها ايي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم

ويرجع نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تأثر أبو الحسن بالإمام الغزالي وكذلك بابي مدين ، ولذا تعد مدرسته في عداد المدارس الصوفية السنية

.

لم تنتشر كثيرا الطريقة الشاذلية في افريقيا بصفة عامة وفي السنغال بصفة خاصة كما انتشرت فيها الطرق الصوفية الأخرى مثل القادرية والتيجانية وغيرهما وربما يعود ذلك إلى عدم وجود نظام خاص واوراد معينة لهذه الطريقة .، ولكن مع ذلك كله فإن تعاليم الشاذلية انتشرت إلى أجزاء من القارة الإفريقية وعلى وجه خاص في السودان وكان من الذين تلقوا تعاليمها في غرب افريقيا أحمد التمبكتاوي الفلاني وقد وصلت الشاذلية إلى شنقيط، وقد تسربت عدوى هذه الطريقة إلى بلاد السنغال واعتنقها بعض علماء السنغال وكان من أبرزهم الشيخ مور غلاي جاو الذي كان مشهورا في علم الخليل ، كما ان الشيخ أحمد بامبا مؤسس الطريقة المريدية أخذ فترة من الزمن هذه الطريقة وتوسل كثيرا بابي الحسن الشاذلي في قصائده، وهذا يعني ان هذه الطريقة كان لها حضور ولو نسبيا في البلاد السنغالية.

** الطريقة المريدية :

المريدية طريقة صوفية محلية تأسست على أيدي الشيخ أحمد بامبا البكي المعروف بخادم الرسول (1855 1927).

المريدية من المريد يعني الطالب أما في الاصطلاح الصوفي فالمريد هو السالك الذي يريد ان يصل إلى الحضرة الالهية قبل كل شئ وينال بالتالي صفة الشيخ الروحي (1)

ويرى بول مارتي ان السنيغاليين منذ بداية القرن العشرين الميلادي انتهى السنغاليون بهذه الصيغة مريد mourid إلى تعيين مجموعة اتباع الطائفة الدينية الجديدة التي يقودها سرنج أحمد بامبا بصفة خاصة. (2)

ويعتبر الشيخ أحمد من أكبر علماء السنغال وشيوخها المعروفين بالعلم والتقوى والورع وكان له تأثر بكبار الصوفيين في العالم الإسلامي مثل الغزالي والجيلاني والشاذلي.

وكان يقول:

مشائخي سيدي الجيلاني- والشاذلي معه التيجاني

وعلى هذا فطريقته خلاصة صوفية اعتمدت على تجارب صاحبها الشخصية في الميدان الصوفي بعد ان مارس مختلف الطرق الصوفية وأفكار عدد من رجالاتها كاليدالي وابن عطاء الله والغزالي وغيرهم.

وكان الشيخ أحمد بامبا آية في التأليف والتصنيف وخاصة نظم القصائد إضافة إلى انكبابه على العبادة والخلوة .وتناولت كتاباته العديد من الموضوعات تتعلق بالأخلاق ومدح النبي والتوسل به ومدح الأنبياء والأولياء والصالحين

وبصفة عامة يمكن تصنيف مؤلفات الشيخ أحمد بامبا وقصائده إلى أصناف أربعة وذلك بالاعتماد على موضوعاتها

_1التصوف والأخلاق : كتاب مسالك الجنان. نهج قضاء الحاج ،جالبة المبرور متور الصدور.

_2العقيدة : كتاب مواهب القدوس وأجزاء من تزود الشبان ، وتزويد الصغار.

_3الفقه :كتاب الجوهر النفيس

المدائح ، ككتاب مواهب النافع في مدائح الشافع ، وجذب القلوب إلى علام الغيوب . وغيرها.

وتعتبر الطريقة المريدية من أقوى الطرق الصوفية في السنغال من حيث العدد والاقتصاد والنفوذ في السياسة الوطنية.

الخاتمة:

التصوف ظاهرة عرفتها الثقافة الاسلامية كغيرها من الثقافات الأخرى ، فقد كان في الوهلة الأولى تصوف زهد وزرع ومحاهدة نفس ثم تحول إلى مذاهب وطرق قائمة بذاتها وفق أركان وشروط ومبادئ وآليات محددة.

فمنذ القرن السادس للهجرة بدأ التصوف الإسلامي يعرف منحى آخر وهو التصوف الطرقي ، فلم يعد التصوف ثمرة التجربة الفردية بل أصبح ظاهرة جماعية ويعني وجود شيخ وحوله أتباعه ومريدوه يصفون عليه هالات من التجميد والقداسة احيانا، وقد انتشر هذا النوع من التصوف الشعبي في أفريقيا

وخاصة في السنغال كما أصبح له ارتباط متين بتاريخ البلاد وتقاليدها الثقافية و الاجتماعية . وكان للتصوف او للطريقة الصوفية في السنغال تأثير قوي وكبير في جميع مناحي الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية بل والسياسية.

فالإسلام في السنغال إسلام صوفي طرقي ولا يمكن دراسة تاريخه دون التطرق إلى التصوف او الى زعمائه الذين لعبوا دورا هاما واساسيافي نشر الإسلام ومقاومة الوثنية والاستعمار

وعلى هذا فجُلّ السنيغاليين ان لم نقل كلهم لا يتصورون إمكانية وجود مسلم غير منتم إلى طريقة صوفية معينة[23] .

---

[23] تعقيب الدكتور سعيد زونغو (الكوتديفوار)، على مقال الدكتور مختار جي؛ تعليقا لما ذهب إليه الدكتور مختار جي في تعريضه لطريقتي الشاذلية والمريدية فإن الطريقة البكاعية التي تبناها الكونتيون في تمبكتو في شمال مالي تفرعت من الشاذلية، وظلت أي البكاعية تسيطر على المنطقة لمدة طويلة حتى مجيء التيجانية

مع الحاج عمر الفوتي، والذي واجه عدة صعوبات مع الكونتيين سواء في سوكوتو إثر عودته من الحاج أو في حمد الله عاصمة الدولة الإسلامية بماسينا في مالي و التي أسسها الشيخ أحمد.

وبالنسبة إلى الطريقة المريدية التي أسسها الشيخ احمد بامبا فأعتقد وإن كانت خلاصة للطرق السابقة لها كما ذهب إلى ذلك الدكتور جي إلا أنني أرى أنها كانت كذلك ثورة عليها . ونلاحظ ذلك في بعض عبارات الشيخ حيث يقول: ما لي ببغداد حاج ولا فاس ... أو كما قال...

عرف عثمان نوري طوباش وهو من أبرز شيوخ التصوف المعاصرين في تركيا التصوف قائلا : " إن هدف الإسلام الأساسي هو أن يكون الإنسان كاملا مستقيما، والسبيل إلى ذلك هو أن يحيا الإنسان دينه ظاهرا وباطنا، في إطار ينسجم العقل فيه مع القلب، ويتحد الجسد مع الروح. وليس التصوف إلا سعيا لبلوغ هذا الهدف، ومقصوده الوحيد وعرضه الفريد أن يكون العبد عبدا مؤمنا صالحا يرضى الله عنه".

المراجع:

_1ابن عامر (توفيق)التصوف الإسلامي إلى القرن السادس الهجري، تونس ،المركز القومي البيداغوجي ط1

_2جوب (محمد الامين)إرواء النديم في سيرة الشيخ الخديم مخطوط.

_3هوببر (ديشان)الديانات في أفريقيا السوداء، القاهرة، دار الكتاب المصرية، 1956

_4النحوي (الخليل)بلاد شنقيط ، المنارة والرباط . تونس

5 _Paul (marty) :etudes sur l'Islam au Senegal e leurousse, 1917, Paris.

6 _ محمد المختارجي : الفكر الصوفي عند الشيخين أحمد بامبا والحاج مالك سي ،أطروحة دكتوراه ، جامعة الزيتونة تونس 2005

تعريف بالشيخ
"محمد فاضل بن محمد الأمين"

بقلم

الشيخ محمد فاضل محمد مصطفى

شيخ الطريقة الفاضلية القادرية (موريتانيا)

تعريف بالشيخ
"محمد فاضل بن محمد الأمين"

بقلم

الشيخ محمد فاضل محمد مصطفى

شيخ الطريقة الفاضلية القادرية (موريتانيا)

مقدمة: إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نشكره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله.

وبعد: فإنه من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن جعل لها على مر الزمان ومختلف المكان علماء ربانيين يبينون لها ما فيه خير معاشها، ومعادها مما يطرأ عليها في كل وقت من متغيرات الحياة بواسطة فتاوى منبثقة من شرعه الحكيم تتلاءم مع تلك المتغيرات، وكان لبلاد الشناقطة حظ وافر من هذه الفتاوى نظرا لما حباه الله به من آهل المعارف خصوصا في القرن 12هـ.

وقد تميز هذا القرن بتمسك الشناقطة بمشهور المذهب المالكي في العمل والفتوى والقضاء، مما أدى ببعض الفقهاء في ذلك الوقت إلى الغلو في التقليد، حتى حرموا النظر في النوازل فضلا عن الاجتهاد، ولم يراعوا خصوصية المكان (البادية) الذي يمتاز بكثرة الضرورات التي لا يلائمها الجمود على طريقة

واحدة أو قول واحد في المذهب، إلا انه كان هنالك أعلام تصدوا لهذه الظاهرة في فتاويهم ومن بينهم العلامة: "الشيخ محمد فاضل بن مامين"؛ فقد اختط منهجا مختلفا عن المنهج الشائع لدى الشناقطة في ذلك العصر، حيث اعتمد منهجا اجتهاديا مقاصديا يساير الأحوال والظروف ويراعى الضرورات ويجنح إلى التيسير على الناس ولا يلتزم مشهور المذهب، بل يحتج بنصوص الكتاب والسنة ويخرج عن المشهور فيفتي بالشاذ في المذهب وبأقوال المذاهب الأخرى.

وقد أثار منهجه هذا اهتمام معاصريه فوافقه بعضهم، واعتمدوا فتاويه مثل: الشيخ كاشف بن بيبيا التندغي، والشيخ عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي، فضلا عن تلاميذ الشيخ محمد فاضل، ومنهم ابنه الشيخ: ماء العينين، وابنه الشيخ سعد أبيه، ومنهم الشيخ محمد فاضل بن الحبيب.

وخالفه بعضهم ورد عليه مثل الشيخ : محمد بن أحمد الصغير بن حمى الله التيشيتي، والشيخ أحمد بن الطالب محمود الإيدوعيشي. وكان لهذه الحوارات

والمناظرات أثر كبير في إحياء ونهوض النشاط الأصولي في البلاد.

وقد اشتهرت أقوال الشيخ محمد فاضل في سائر أرجاء البلاد وما حولها؛ فرغم أنه عاش في الحوض الشرقي، فقد رأينا أهل الجنوب الغربي، وأهل الشمال وأهل وسط البلاد يحتنون بأقواله فيعتمدونها أويردون عليها.

ومن أشهر تلك الفتاوى: فتوى جواز الأجرة على إخراج الجان، والمغالاة فيها، وأخذ بعضها مقدما (المعروف شعبيا بـ"بلول القلم") رفع الحدث بالتيممفتوى جواز دفع القيمة في الزكاة.فتوى الجمع بين مشتركتي الوقت

وستتناول هذا الموضوع من خلال ثلاثة مباحث تحت كل مبحث مطالب.

المبحث الأول: حياة صاحب الفتاوى (الشيخ محمد فاضل بن مامين).

المطلب الأول: اسمه ونسبه، المطلب الثاني: مولده ووفاته وعصره ووسطه، المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه، المطلب الرابع: عقيدته ومذهبه وطريقته.

المبحث الثاني: منهجه الاجتهادي في فتاويه. المطلب الأول: استنباطه من الكتاب، المطلب الثاني: استنباطه من السنة، المطلب الثالث: اعتماده للمقاصد الشرعية واحتجاجه بالقواعد الأصلية. المطلب الرابع: خروجه عن المذهب المالكي واعتماده لأقوال المذاهب الأخرى، المبحث الثالث: آثار فتاويه وقيمتها.المطلب الأول: الموافقون لفتاويه. المطلب الثاني: المخالفون لفتاويه، المطلب الثالث: قيمة فتاويهالخاتمة.

المبحث الأول:حياة صاحب الفتاوى، "الشيخ محمد فاضل بن مامين".

*المطلب الأول: اسمه ونسبه.

-1اسمه: قال المحجوبي في "منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور": (هو القطب الرباني، والغوث الصمداني، الولي الصالح ذو البركات الباهرات، والكرامات الظاهرات، شيخ الأشياخ السادات، من ظهرت بركاته شرقا وغربا، ومناقبه في الناس عجما وعربا، ساقي المريد، وعمدة أهل

التوحيد، شيخ المحققين، ومربي السالكين، أبو المواهب السنية، والأخلاق المرضية، ذو الكرامات الظاهرة، السيد الأسنى، والذخيرة الحسنى؛ الشيخ محمد فاضل بن محمد الأمين)(1).

-2نسبه: يرتفع نسب الشيخ محمد فاضل إلى البيت النبوي؛ فهو الشيخ محمد فاضل بن محمد الأمين وقد اشتهر اسمه بمامين بن الطالب، أخيار بن الطالب محمد أبو الأنوار، ويلقب بالصوفي بن الجيه المختار، بن الطالب الحبيب، بن الطالب أهل بن سيدي محمد، بن

بن يحي الكبير القلقمي، بن سيدي محمد، بن سيدي عثمان، بن مولاي أبي بكر، بن سيدي يحي، بن مولاي عبد الرحمن، بن مولاي أران، بن أتلان، بن جملان، بن مسعود بن مولاي عيسى، بن مولاي عثمان، بن مولاي إسماعيل، بن مولاي عبد الوهاب، بن مولاي يوسف، بن مولاي أعمر، بن يحي بن عبد الله، بن مولاي احمد، بن إدريس الأصغر، بن إدريس الأكبر، بن عبد الله

الكامل، بن الحسن المثني، بن الحسن السبط، بن سيدنا علي بن أبي طالب، وابن بنت الرسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء. وأما والدة الشيخ محمد فاضل فهي خديجة بنت الطالب بوبكر اللمتوني(2).

*المطلب الثاني: مولده ووفاته وعصره ووسطه.

-1مولده ووفاته:ولد الشيخ محمد فاضل ولد مامين، يوم الأحد 27 من شعبان سنة: 1211 ه/ 1792م. وتوفي ليلة الجمعة 10 من المحرم سنة: 1286ه/ 1867م، بمنطقة ادياده 60 كلمترا جنوب مدينة النعمة. هذا ما نظمه ابنه الشيخ سعد بوه بقوله –رامزا بحساب الجمل:-

مولده كان بعام "أيرش" وجاءه الموت ببدء "وفرش"

أيرش = 1211. وفرش = 1286.

-2عصره:وقد ولد في عصر تميز بازدهار علمي، ونهضة ثقافية لامعة، وكان من أبرز أسباب هذا الازدهار حرب "شربيه"؛ حيث تضرغ الزوايا بعد هذه الحرب للعلم، واعتبروه ملاك الأمر كله، وأعطت

المؤسسات التعليمية (المحاظر) ثمارها، حيث ظهرت اتجاهات فكرية كان من أبرزها الاتجاه الصوفي، إذ يعتبر الشيخ محمد فاضل المؤسس لإحدى الشعبتين الكبيرتين اللتين تفرعتا من الطريقة القادرية التي هي أوسع الطرق انتشارا في بلاد شنقيط وهي الطريقة الفاضلية(3).

-3وسطه: نشأ الشيخ محمد فاضل بن مامين في وسط اجتماعي صوفي، غلب عليه الزهد في الدنيا والاشتغال بالعلم والعبادة والأوراد؛ فقد تربي في أسرة والده الشيخ مامين الذي كان عالما تقيا زاهدا، فقد ذكر عنه الشيخ محمد فاضل بن الحبيب في كتابه "الضياء المستبين" كثيرا من الكرامات، كان بعضها سببا في مبايعة ابنه الشيخ محمد فاضل له(4).

كما كان الشيخ مامين مشتغلا بالعلم، كثير التطواف؛ فقد ذكرت بعض الروايات الشفهية أنه مكث مدة في فاس، وعاد منها بخزانة كتب من بينها الصحيحان، وكتاب أسامي الصحابة وهو كتاب نادر

توجد منه نسخه خطية كاملة في دار العلوم في المانيا[5].

ونشأ الشيخ محمد فاضل في أحضان أمه التي كانت من أخشى الناس وأتقاهم، فيذكر عنها أنها كانت لاتتكلم إلا بـ"سبحان الله"[6].

ولم تقتصر سمات الزهد والعلم على الأبوين المباشرين للشيخ محمد فاضل بن مامين، بل قد أثبت أحد الباحثين، من خلال تواطئ الروايات الشفهية عنده، حصول أغلب أفراد المجموعة التي ينتمي إليها الشيخ محمد فاضل بن مامين على مستويات علمية مرموقة، مما جعل منهم مجموعة متعلمة ومعلمة على مستوى العلم والتصوف، وكذلك كانت لأجداد الشيخ محمد فاضل مكانة في علوم التصوف، وروي عنهم بعض الكرامات والمكاشفات[7].

وقد انعكس هذا العلم والزهد والاشتغال بالله على الشيخ محمد فاضل بن مامين.

*المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

-1شيوخه:أخذ الشيخ محمد فاضل بن مامين الطريقة القادرية عن أبيه الشيخ محمد الأمين (مامين)؛ فقد بايعه وهو ابن سبع سنين، على ما ذكره صاحب الضياء المستبين[8]، وقد كان الشيخ محمد فاضل بعد المبايعة لا يتخلف عن أمر والده وشيخه ولا يتحرك إلا بأمره وإشارته حتى بلغ خمسة عشر عاما، حينئذ رفع عنه حجره، وأجازه وأعطاه عمامته، وقال له:"اذهب حيث شئت وامكث إن شئت؛ لالي عليك اليوم من حق"، وبعد إجازة أبيه وشيخه له في الطريقة التي كانت بعد تعلمه القرآن، الذي أظهر عبقرية خارقة في حفظه؛ فقد كان يكتب منه حزبين يوميا لا يلاحظ المعلم عليه فيهما أي ملاحظة، ودراسته لصغار الكتب المتداولة في وسطه، حاول أن يدرس على الشيخ محمد بن الطالب إبراهيم مختصر الشيخ خليل، لكن ذلك لم يتم نظرا لعدم اعتراف الشيخ بذكاء الشيخ محمد فاضل الخارق، حيث امتنع أن يدرس أكثر من ما يدرس تلاميذه، وحينئذ بدأ الشيخ

محمد فاضل بالبحث عن أستاذ جديد؛ فاتجه إلي العلامة الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، لكن وفاة سيدي عبد الله حالت دون التحاق الشيخ به؛ فاتجه إلى الشيخ الفقيه سيدي المصطفي بن الكيحل بن عثمان[9]. فبدأ يدرس عليه من مختصر خليل ستين قفا يوميا ويحفظها عن ظهر قلب، وبعد انتهائه من دراسة مختصر خليل درس عليه علوما أخرى، من بينها علم الحديث كما يظهر من إجازة حسن محمد المشاط، عن الشيخ ماء العينين، عن والده الشيخ محمد فاضل، عن ابن الكيحل[10].

ويتسلسل سند الطريقة للشيخ محمد فاضل بن مامين، مع آبائه حتى جده الثامن سيدي يحيى الصغير، وعند هذا الجد يخرج سند الطريقة عن الآباء؛ فقد أخذ سيدي يحيى الصغير عن الإمام الكبير زروق، وهذا ما نبه عليه الشيخ سعد بوه في نظمه لسلسلة أشياخ أبيه وشيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين، حيث يقول في هذا النظم:

قال أبو عبد العزيز الأمثل
سعد أبيه الفاضلي القلقمي
حمدا لمن إلى الهدى هداني
من شيخنا جرثومة الأفاضل
من شيخنا وهو من أبيه مستغفرا من كل ذنب أزلي
مبتدئا باسم الإله الأعظم
ثم إلى طريقة الجيلاني
قطب الأواخر مع الأوائل
وشيخه ماميننا النبيه
إلى أن قال:
عن شيخه وأبه يحيى الصغير
عن شيخه ولم يكن أباه
من كان في كل المحامد كبير
زروق من كل الخنا أباه

كما يذكر أن سيدي يحيى أخذ عن والده سيدي عالي، عن الإمام السيوطي، وقد أجاب الشيخ التراد عن ذلك بأن سند زروق في التصوف وسند السيوطي في العلوم الظاهرة، أو كلا السندين في التصوف؛ لأن

هذا لا يضر عند الطريقة الفاضلية، خصوصا إذا علمنا التقاء السندين عند الإمام أبي الحسن الشاذلي[11].

-2تلاميذه:أقبل طلاب العلم والتصوف على الشيخ محمد فاضل بن مامين نظرا لمجموعة العوامل التالية:
-جو الأمن الذي يوفره الاحترام الروحي الذي يحظى به الشيخ محمد فاضل.
-وجود فضاء علمي وثقافي كبير يحقق فيه الشخص ما لا يستطيع تحقيقه في فضاءات أخرى.
-توفير الخدمات الأساسية التي يحتاجها طلبة العلم.
فتخرج على يديه جم غفير من أهل العلم والصلاح ظهر دورهم في كافة أرجاء الوطن الموريتاني. ويظهر ذلك جليا في ابنه الشيخ ماء العينين في الصحراء المغربية والشمال الموريتاني، وفي ابنه الشيخ سعد أبيه في منطقة "الترارزة"، وفي تلميذه وابن عمه وسميه الشيخ محمد فاضل بن محمد بن عبيدي في منطقة أدرار. بينما استقر ابنه الشيخ سيد الخير في

منطقة الحوض، وكان على صلة بالسودان خصوصا منطقة الحدود مع جمهورية مالي استوجب من السلطات الفرنسية التعامل معه في بداية تغلغلها كممثل أعلى للفاضلية.

لكن تمثيل الشيخ سيد الخير للشيخ محمد فاضل في الحوض، جاء بعد وفاة الخليفة الثاني للشيخ محمد فاضل، وهو الشيخ الحضرمي، الذي جمع بين السلطة الروحية والسياسية من دون منازع (12).

*المطلب الرابع: عقيدته ومذهبه وطريقته.

-1عقيدته:

كان الشيخ محمد فاضل على عقيدة الأشاعرة (أهل السنة) كسائر معاصريه من الشناقطة.

وقد قام الشيخ محمد فاضل بإصلاح عظيم في المجال العقدي، يقوم على التخلي عن شبهات الاعتقاد الفاسد، ويتضح ذلك جليا في ما ذكره الشيخ النعمة أن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل نزل بأحد

أحياء القبائل التيندوفية التي ترى ضرورة الاحتماء بزعيم القبيلة واللوذ به، مجسدة ذلك في مبايعة القادم له وذبح شاة باسمه، فقام الشيخ ماء العينين بعكس ذلك؛ فذبح شاة وذكر اسم الله عليها وفرقها بين المساكين والفقراء، ونظم أبياتا عبر فيها عن اعتقاده في الخالق والتجائه إليه دون المخلوق، فقال:

ألا والله والله العظيم
فلم أذبح على الأكوان طرا
ولكني على ربي اتكالي
ولو في النار أجعل كالطريحه
ومني القول فاستمعوا صريحه
ومن يكل الأمور له ربيحه(13)

-2مذهبه :كان الشيخ محمد فاضل على المذهب المالكي كسائر معاصريه من الشناقطة.

وكان ما في الخبر من أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحث على الاقتصاد في الأمور كلها، ويقول: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)[14]، حاضرا في فتاوي الشيخ محمد فاضل بن مامين، مع أنه

كان أشد الناس احتياطا لنفسه؛ فقد قال عنه تلميذه الشيخ محمد فاضل بن الحبيب؛ إنه كان لا يحرج على مسلم في ما يجد فيه سعة إلا أن تكون سعة تؤدي إلى انتهاك حرمات الله فيسد ذريعتها حسما لمادة الفساد، فالحاصل أنه كان أشد الناس احتياطا لنفسه، مع اتباع السنة في ذلك، وأرفقهم بعباد الله تعالي فلا يحرج عليهم ما وسعه الله تعالى لهم(15).

وسيتضح ذلك من خلال الحديث عن فتاويه إن شاء الله تعالى.

-3طريقته: طريقة الشيخ محمد فاضل بن مامين هي الطريقة القادرية، وقد أسس طريقة عرفت باسمه هي الطريقة الفاضلية، التي تعتبر من أكبر شعب الطريقة القادرية في أرض شنقيط[16]. وكان مجددا في التصوف؛ فهو كما قال عنه الطالب بوبكر المحجوبي:(أحيا طريقة الشاذلي والشبلي في أرض الحوض بعد ما ماتت؛ فهو شيخ الحقيقة، ومنار الطريقة، كالجنيد في عصره، والشبلي في دهره، والشاذلي في دوره) (17).

وقد ذكرنا آنفا سلسلة سنده في الطريقة القادرية.

المبحث الثاني: منهجه الاجتهادي في فتاويه.

•المطلب الأول: استنباطه من الكتاب.

الاستنباط من الكتاب والسنة ملمح بارز في فكر الشيخ محمد فاضل، حيث نجده يشيد فتاويه على أساس منيع من الكتاب والسنة، ويبدو مطلعا اطلاعا وافيا على التفاسير وكتب الحديث وشروحها.

فقد احتج بنصوص الكتاب وبأقوال المفسرين في الكثير من فتاويه، ومن أمثلة ذلك:

-1في رسالته "سيف المجادل"[18]، وهي جواب عن سؤال وجه إليه عن معنى الهيللة، وما يتدبره قائلها، وهل الذكر بها أفضل أم بالتجريد بالاسم؟ وهل هي أفضل العبادات؟ أم فيها ما هو أفضل منها؟ وهل الجهر بها أفضل أو الإسرار؟

استدل على تفضيل الذكر على سائر الأعمال قوله تعالى:)اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر (19).

واستدل بأن الله اشترط فيه الكثرة ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال، قال تعالى:)يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا([20]، وقال أيضا:)والذاكرين الله كثيرا([21]، وقال أيضا:)فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم([22]، وقال أيضا:)فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون([23]،وقال: "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا"([24]، وقال:"لأولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم"(25).

واستدل بقول ابن عباس: لم يفرض الله تعالى لعباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما،ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر؛ فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه، إلا مغلوبا على عقله، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها؛ فقال جل من قائل:

)فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم([26]،)يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا([27]، أي: بالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، والغضب والسرور،وعلى كل حال.

كما استدل على فضل تجريد الاسم للمريد في البداية والنهاية، عند بعض القوم،بما قاله ابن جزي في تفسيره عند قوله تعالى:"فاذكروني أذكركم"(28).

واستدل على أفضلية الجهر بالذكر عند القائلين بذلك، بقوله تعالى: "فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا" (29).

-2استدل في رسالته "سيف السكت للمتعرض لنا في أول الوقت" على أفضلية أول الوقت ومعرفة ابتدائه، بقوله تعالى:)لقد كان لكم في رسول إسوة حسنة([30]، أي: قدوة ومتابعة. بعد أن ذكر كثيرا من الأحاديث الشريفة في الموضوع (31)

-3وفي فتواه في جواز الأكل بين الفجر وطلوع الشمس للصائم، استدل بتأويل الأعمش لقوله تعالى:)حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر([32]، وبقوله تعالى:"وجعلنا آية النهار مبصرة" (33).

-4وفي فتواه في جواز أكل أكيلة السبع إذا أدركت ذكاتها ولو أنفذت مقاتلها، استدل باتصال الاستثناء في قوله تعالى: "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم" (34).

-5كما استدل تلميذه ابن الحبيب في فتواه التي أصدرها بإذن من شيخه بالترخيص في بيع الملح مع غيره من الأطعمة نسيئة، بأن آيات الرباالمطلقة ورد تقييدها بربا المضاعفة في قوله تعالى:"لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة" (35).

المطلب الثاني: استنباطه من السنة:

كان للشيخ محمد فاضل اهتمام كبير بالسنة النبوية؛ فكان في فتاويه يرجع إلى كتب متونها، ويعزو إليها، ويرجع إلى كتب شروحها، كـ"التمهيد" لابن عبد البر[36]، ويرجع إلى الكتب الجامعة لأصول السنة، مثل: "تيسير الوصول إلى جامع الأصول" لابن الديبع اليماني[37]، و"كشف الغمة عن جميع الأمة" للشعراني (38)

من أمثلة استنباط الشيخ محمد فاضل من السنة، واستدلاله بها:

-1استدلاله على أفضلية الذكر على سائر الأعمال،في جواب سؤال وجه إليه في ذلك[39]، بأحاديث كثيرة منها: قوله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة في سبيل الله، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم؛ فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم؟

قالوا: بلى يارسول الله. قال: ذكر الله)[40]. وقوله صلى الله عليه وسلم:(قال الله تعالى: يا ابن آدم إذا ذكرتني شكرتني، وإذا نسيتني كفرتني)[41]. وقوله صلى الله عليه وسلم:(لكل شيء سقالة وسقالة القلوب ذكر الله)[42]. وقوله أيضا:(إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: مجالس الذكر)[43].وقوله أيضا:(سبق المفردون. قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ صلى الله عليه وسلم قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) (44).

-2استدلاله في رسالته "سيف السكت للمتعرض لنا في أول الوقت"[45]بكثير من الأحاديث على تحديد أوقات الصلاة، فمن ما استدل به:أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه سائل فسأله عن مواقيت الصلاة فلم يرد عليه، قال: فأقام صلاة الفجر حين انشق الفجر والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضا، ثم أمر فأقام الظهر حين زالت الشمس، والقائل يقول: قد انتصف النهار، وهو كان أعلم، ثم أمر فأقام العصر والشمس مرتفعة، ثم أمر فأقام المغرب حين وقعت الشمس، ثم أمر فأقام

العشاء حين غابت الشمس، ثم أخر الفجر من الغد حتى انصرف منها، والقائل يقول طلعت الشمس أو كادت، ثم أخر الظهر حتى كان قريبا من وقت العصر بالأمس، ثم أخر العصر حتى انصرف منها، والقائل يقول: قد غربت الشمس، ثم أخر المغرب حتى كان عند سقوط الشمس. وفي رواية: فصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق في اليوم الثاني، ثم أخر العشاء حتى كان في ثلث الليل الأول، ثم أصبح فدعا السائل فقال: الوقت بين هذين(46).

كما استدل بحديث أخرجه أبوداوود وعزاه لابن عبد البر في التمهيد عن أبي مسعود الأنصاري أو بشير بن أبي مسعود الأنصاري وكلاهما صحب النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين دلكت الشمس فقال: يا محمد صل الظهر.وجاءه حين كان ظل كل شيء مثله فقال: يا محمد صل العصر إلخ(47)

واستدل بالحديث الذي أخرجه أبو داود وغيره، وصححه ابن خزيمة، من حديث أبي مسعود الأنصاري

أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي العشاء حين يسود الأفق، وربما أخرها حتى تجتمع الناس[48.[

كما استدل على مواظبته صلى الله عليه وسلم على الصلاة في أول الوقت، بما أخرجه الستة أن عائشة قالت: كانت نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة، لا يعرفهن أحد من الغلس[49]. وفسر التلفع:بالالتحاف، والمروط: بالأكسية التي فيها الأعلام(50).

واستدل بما روي عنها أنها قالت:(ما رأيت رجلا كان أشد تعجيلا للظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من أبي بكر، ولا من عمر، رضي الله عنهما)[51].وقولها: (ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة لوقتها الآخر مرتين حتى قبضه الله)(52)

واستدل بحديث جابررضي الله عنه:(شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا). قال زهير لأبي إسحاق:أفي الظهر؟ قال: نعم.قال: أفي تعجيلها؟ قال: نعم. أخرجه مسلم والنسائي[(53)

-3استدل على فتواه برفع الحدث بالتيمم للمضطرين، بحديث (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)[54].

-4استدل على فتواه بالترخيص في تأخير أولى مشتركتي الوقت، أو تقديم الأخيرة للضرورة، بحديث ابن عباس،وأتى به من عدة طرق، وبروايات مختلفة، منها: عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالمدينة سبعا وثمانيا، للظهر والعصر، والمغرب والعشاء.ومنها:قال ابن عباس: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء. قال عبد الله بن شقيق: فحاك في صدري من ذلك شيء فأتيت أبا هريرة؛ فصدق مقالته[55].

-5واستدل على أخذه من دافعي الزكاة كل ما يعطون عن زكاتهم من عرض وغيره، بما في الخبر: أن معاذ بن جبل قال لأهل اليمن: ائتوني بخميسأو لبيس، هو أيسر لكم، وأنفع لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[56].

6-واستدل على فتواه بالترخيص للمسافر أقل من أربعة برد بالفطر، إذا كان عليه في الصوم مشقة، بما في الخبر: أن أنس بن مالك رضي الله عنه أراد السفر من قرية دمشق إلى قرية قريبة منها على مسافة ثلاثة أميال، فلما رحل رواحله شرب ودعا أصحابه إلى الشراب؛ فأبى بعضهم، فبكى أنس، ثم قال: اللهم اقبضني إليك فإني رأيت الناس يرغبون عن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واستدل بما في "تيسير الوصول" أن دحية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد السفر إلى بلد نحو ثلاثة أميال فأفطر وأمر أصحابه بالفطر؛ فقالوا: سنة؟ قال: نعم[57.]

7-واستدل على فتواه بالترخيص في الأكل والشرب لمن غلبته عيناه عن سحوره ولم يستيقظ إلا بعد الصلاة، إذا كان غير متجانف لإثم ولا متساهل بحدود الله، بحديث حذيفة الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه، وهو أن حذيفة سئل عن وقت تسحر رسول

الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع[58].

-8واستدل تلميذه الشيخ محمد فاضل بن الحبيب في فتواه بالترخيص في بيع الملح بغيره من الأطعمة نسيئة، التي صدرت بعد إذن منه، على أن التكليف في المنهيات التي لم ترد في القرآن، أيسر من التكليف في المنهيات التي وردت في القرآن،بحديث:(من اتبع كتاب الله هداه من الضلالة ووقاه سوء الحساب يوم القيامة).وحديث:(ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام؛ وما سكت عنه فهو عفو،فاقبلوا من الله عافيته؛ فإن الله لم يكن لينسى شيئا). وحديث:(لا تكتبوا عني غير القرآن؛ فمن كتب عني غير القرآن فليمحه)[59].

**المطلب الرابع: اعتماده للمقاصد الشرعية واحتجاجه بالقواعد الأصلية.

-1اعتماده للمقاصد الشرعية.

لقد اختط الشيخ محمد فاضل منهجا مختلفا عن المنهج الشائع لدى الشناقطة في عصره القرن 13ه، فقد اعتمد منهجا اجتهاديا مقاصديا يساير الأحوال والظروف، ويراعي الضرورات، ويجنح إلى التيسير والتسهيل على الناس.معتمدا في كل ذلك على المقصد الشرعي (التيسير) مراعيا خصوصية المكان (البادية)الذي يعيش فيه هو ومن حوله.

ولقد جعل الشيخ الطاهر بن عاشور في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية"[60]،التيسير مثالا للمقاصد الشرعية القطعية، مستدلا على ذلك بتكرر الأدلة القرآنية الدالة عليه تكررا ينفي احتمال قصد المجاز أوالمبالغة، قال تعالى:)يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر([61]، وقال تعالى:)وما جعل عليكم في الدين من حرج([62]، وقال تعالى:)يريد الله أن يخفف عنكم([63]. وكذلك الأحاديث النبوية الكثيرة التي تدل على التيسير على الأمة، منها قوله صلي الله عليه وسلم:لمعاذ وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى

اليمن:(يسرا ولا تعسرا)[64]، وقوله:(إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين)[65].

يقول ابن عاشور: (فمثل هذا الاستقراء يخول للباحث عن مقاصد الشريعة، أن يقول إن من مقاصد الشريعة التيسير؛ لأن الأدلة المستقرأة في ذلك كله عمومات متكررة، وكلها قطعية النسبة إلىالشارع؛ لأنها من القرآن وهو قطعي)[66].

وهكذا كان مبدأ التيسير مهيمنا على فكر الشيخ محمد فاضل بن مامين، وكان ينص في أكثر فتاويه الخارجة عن المذهب على أنه إنما أفتى بها للضرورة. وقد عبر عن ذلك تلميذه الشيخ محمد فاضل بن الحبيب في كتابه: "الضياء المستبين"، حين كان يكرر فيه دائما هذه العبارة: (وكان لا يُضَيِّق على..)[67].

:

لقد خرج الشيخ محمد فاضل عن مشهور المذهب المالكي وأفتى بمقابله في كثير من الأحيان، نظرا لخصوصية المكان (البادية)،وظروفها الطبيعية

والاقتصادية القاسية، التي تتميز بالجفاف وكثرة المجاعات، وكثرة الترحال، وشدة الحرارة في الصيف، وشدة البرد في الشتاء.

فأفتى مثلا برفع الحدث بالتيمم للمضطرين بسبب ندرة الماء ومشقة استعماله في الشتاء في البادية.

وأفتى بجواز دفع العروض وغيرها في الزكاة، بسبب عدم توفر السن المطلوبة شرعا في كثير من الأحيان في البادية.

ومن هذا الباب فتواه في أن من غلبته عيناه عن السحور ولم يستيقظ إلا بعد الصلاة يجوز له تناول السحور في ذلك الوقت، إذا كان غير متجانف لإثم ولا متساهل بحدود الله.وفتواه بجواز الفطر للمسافر أقل من أربعة برد، بسبب مشقة الصوم في الصيف في البادية، خصوصا للمسافر. وفتواه بجواز الجمع بين مشتركتي الوقت مطلقا، بسبب كثرة أشغال أهل البادية، وطول أسفارهم وكثرة ترحالهم.

وكذلك فتواه في حل المنفوذة المقاتل والمغلصمة، بسبب كثرة المجاعات في البادية. وفتواه بإباحة

مبادلة الملح بالأطعمة نسيئة، بسبب انعدام النقود وبعد الأسواق وندرة الطعام في البادية[68].

-2احتجاجه بالقواعد الأصولية:

يبدو الشيخ محمد فاضل بن مامين من خلال فتاويه أصوليا متضلعا من علم الأصول، يرجع إلى القواعد الأصولية ليشد بها آراءه ويقنع خصومه.

ففي فتوى له في الطهارة، استدل بالقاعدة الأصولية:"هل الأخذ يكون بالأخف أو الأثقل في الحكم الكلي الذي جزئياته أكثر من واحدة؟" وقد استدل بالشطر الأول من هذه القاعدة على كفاية غلبة الظن في الغسل والمسح في الطهارة، ونهى أصحابه عن تكرار المسح خوفا من الوسوسة، وأفتاهم بعدم إعادة الصلاة ولو وجدوا لمعة بعد ذلك، درءا للوسوسة[69].

وفي الفتوى التي أصدرها تلميذه ابن الحبيب بإذنه، بإباحة مبادلة الملح بالأطعمة نسيئة، ناقش صاحب الفتوى دلالة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، واحتج

برأي بعض الأصوليين الذين يرون أن أمره صلى الله عليه وسلم للندب لا للإيجاب. وفي الفتوى نفسها احتج بقاعدة: حمل المطلق على المقيد[70].

المطلب الرابع: خروجه عن المذهب المالكي واعتماده لأقوال المذاهب الأخرى:

-1خروجه عن مشهور المذهب المالكي:

لقد أدت المنهجية الاجتهادية التي أخذ بها الشيخ محمد فاضل، إلى خروجه عن مشهور المذهب المالكي في كثير من فتاويه.

فمن ذلك:

فتواه بجواز أكل أكيلة السبع ولو أنفذت مقاتلها،وافق فيها بعض المالكية كابن حبيب وابن وهب،خلافا لمشهور المذهب[71].

وفتواه بجواز أخذ القيمة في الزكاة وإجزائه، مع أن مشهور المذهب أن دفع القيمة مكروه، أو غير مجزئ[72].

-2اعتماده لأقوال المذاهب الأخرى.

أما فيما يتعلق باعتماد الشيخ محمد فاضل لأقوال المذهب الأخرى، فمثلا فتوى الجمع في الحضر بغير عذر قال بها جماعة من أهل الظاهر ومحمد بن سيرين[73].

وكذلك فتواه في المسافة التي يفطر فيها المسافر، حيث رخص في جواز الفطر للمسافر في أقل من أربعة برد ،فمن الفقهاء خارج المذهب من حددها بثلاثة أميال[74] ،بل هنالك من العلماء من أجاز الفطر في كل سفر[75].

كما أن المذهب الذي ذهب إليه في وقت الإمساك، روي عن عمر وحذيفة وابن عباس وطلقبن علي وعطاء بن أبي رباح والأعمش[76].

وفي فتواه بجواز أكل أكيلة السبع ولو أنفذت مقاتلها، وافق القول الأشهر من مذهب الشافعي[77].

المبحث الثالث: * آثار فتاويه وقيمتها.

*المطلب الأول: الموافقون لفتاويه.

من الملاحظ أن أغلب الفتاوى التي صدرت من الشيخ محمد فاضل بن مامين، أو من بعض مريديه بعد إذن منه، جاءت بعد أن صدرت فتاوى من بعض معاصريه تنتقد ما كان يعمل به الشيخ ويفتي به مريديه وجماعته، وذلك نظرا لخروجها عن المعتاد في ذلك العصر، وهو التزام مشهور المذهب المالكي.

فمثلا فتواه في الإجارة على إخراج الجان أتت بعد أن أرسل له العلامة أحمد بن الطالب محمود الإدوعيشي أن يحذر من الحرام، وأرسل له أدلة على ذلك؛ فجاء جواب الشيخ محمد فاضل بن مامينعلى تلك الفتوى، وكان الجواب مقنعا للشيخ أحمد بن الطالب محمود الإدوعيشي، حيث يقول:(وبعد فما كتب من الاعتذار يكفي بعضه، ولله الحمد، وأحرى هذا كله)[78].

ومن هذا يتضح أن ما دار بين الشيخين إنما كان طلبا للحق لا غير، حيث يقول الشيخ محمد فاضل بن مامين في آخر هذه الفتوى:(فإذا تأملت هذه النقول وعلمت أن ما فيها يعذرني في فعلي الذي أرسلت إلي بسببه أني أرعى من الحرام، فأرسل إلي، وإلا فأرشدني أيضا، وبالغ

في نصحي بالنصوص القاطعة على منع المعالجة لإخراج الجان، ومنع تكثير الأجرة على ذلك، وعلى منع أخذ "بلول القلم"؛ ليثبت قلبي على ذلك.ف)عسىأن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا([79].فأرسل له العلامة الشيخ أحمد بأن ما كتب يكفي بعضه وأحرى كله.كما تقدم.

وكذلك رسالة الشيخ محمد فاضل بن ماميناالتي تسمى "سيف السكت للمتعرض لنا في أول الوقت"؛ فقد أتت جوابا لأسئلة وجهت إليه في تعجيله للصلاة، فكان الجواب بيانا لفضيلة أول الوقت على غيره، وكذلك كان تأكيدا على أنه لا يصلي إلا في وقت الصلاة الذي جاء بيانه في السنة المحمدية[80]. وقد امتد أثر هذه الفتوى حتى وصل إلى المغرب، نظرا لوجود تلميذه وابنه

الشيخ ماء العينين فيه، فكان يصلي في الوقت الذي يصلي فيه شيخه، فوجهت إليه أسئلة في ذلك، فجاء الجواب في تأليف أخذ نفس المنحى الذي أخذه تأليف شيخه ووالده في ذلك المجال.

وقد امتد أثر هذه الفتوى أيضا حتى وصل إلى السنغال، عن طريق ابنه الشيخ سعد أبيه؛ فقدألف كتابا في هذاالموضوع، سماه:"الطودالشامخ في الصلاة أول الوقت"[81].

وكذلك رسالة الشيخ محمد فاضل بن مامين، التي تسمى:"سيف المجادلة" التي أتت بعد أسئلة وردت عليه في معنى "لا إله إلا الله" وهل الجهر بها أفضل أم الإسرار؟ وكذلك في الذكر بالاسم المفرد: "الله الله"؛ فجاء هذا التأليف جوابا لكل هذه الأسئلة[82]. وقد امتد أثر هذه الفتوى إلى السنغال عن طريق ابنه وتلميذه الشيخ سعد أبيه؛ فقد ألف كتابا يسمى بـ"كشف اللبس، عن المسائل الخمس"،وكان من بين تلك المسائل: الجهر بالذكر ومشروعيته. وكان جوابه متماشيا مع جواب شيخه، كما أن من بين هذه المسائل مشروعية استعمال الأسماء الأعجمية في الدعاء والرقى[83]. ومن الملاحظ أن لشيخه الشيخ محمد فاضل تأليفا فيها يسمى:"حسن الطريد"[84].

ومع أن أكثر معاصري الشيخ كانت لديهم منهجية مغايرة لمنهجية الشيخ محمد فاضل،بسبب التزامهم مشهور المذهب المالكي، فقد وافقه بعضهم في بعض فتاويه، كالشيخ عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي، والشيخ كاشف بن بيبياالتندغي، كما في فتوى قسمة الحبس بتا التي صدرت من تلميذه الشيخ محمد فاضل بن الحبيب بعد إذن من الشيخ محمد فاضل بن مامين، وعمل بها في قومه كما ذكر ذلك الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل[85].

وهذه الفتوى جواب عن قسمة الحبس بتا هل هي ماضية؟ فأجاب الشيخ محمد فاضل:أن تلك القسمة لا يجوز نقضها بوجه؛ لأنها وقعت موافقة لابن الماجشون، وجماعة التكرورين وحكم بها العلماء تقليدا لها، وحكم الحاكم يرفعالخلاف[86].

وقد استدل الشيخ كاشف بن بيبيا التندغي في فتوى له في هذا الموضوع، بفتاوى لبعض العلماء وعملهم بذلك ومن بينهم الشيخ محمد فاضل، حيث يقول في

هذه الفتوى:(وقد حكم به محمد فاضل بن مامين وعمل به قومه)[87.]

**المطلب الثاني: المخالفون لفتاويه:

من الآثار البارزة لفتاوي الشيخ محمد فاضل، تلك الآثار المترتبة على الفتوى التي أصدرها تلميذه الشيخ محمد فاضل بن الحبيب في عدم لزوم المناجزة في بيع الملح بغيره من الأطعمة، بعد أن وصلت لحلة الشيخ محمد فاضل بن مامين رسالة في الموضوع ألفها العلامة محمد بن أحمد الصغير التيشيتي[88] أفتى فيها بلزوم المناجزة،فكتب الشيخ محمد فاضل بن الحبيب رسالة في الرد عليه،بأمر وإذن من شيخه الشيخ محمد فاضل.كمانص على ذلك الشيخ محمد بن أحمد الصغير في رسالته التي رد فيها على هذا الرد، واسمها: "تنبيه العاقل اللبيب، على ما في رسالة الفاضل بن الحبيب."

لكن الشيخ محمد بن أحمد الصغير في معرض رده على رسالة ابن الحبيب نبه على أن الشيخ محمد فاضل بن مامين لم يطلع على ما في رسالة تلميذه ابن

الحبيب، وعلى ذلك لا تلزمه الموافقة على كل ما فيها، وإن كانت صدرت عن إذن منه. يقول الشيخ محمد بن أحمد الصغير: (اعلم - وفقنا الله تعالى وإياك للحق وأتباعه - أن سيدنا الشيخ محمد فاضل - رضي الله تعالى عنه وعن جميع أتباعه - لا يلزم من إذنه في جمع هذه الرسالة رضاه بجميع ما فيها، رضي الله تعالى عنه وأرضاه؛ لأنه لم يقف عليها، ولا نظرت عينه إليها، لشغله عن ذلك بمولاه، كما أخبرني بذلك الثقات، فلا يتوجه إلى جهته العزيزة إنكاري، بسبب ما فيها من هفوة أو عثرة، وإنما يتوجه إلى مؤلفها، ويرد منها ما يرد على مصنفها، وقلما يخلص مصنف من الهفوات، أو ينجو مؤلف من العثرات)[89].

ويتضح من رسالة الشيخ محمد بن أحمد الصغير اعترافه بفضل الشيخ محمد فاضل بن مامين وعلمه، وبفضل وعلم تلميذه الشيخ محمد فاضل بن الحبيب؛ حيث يقول في أول هذه الرسالة:(فاتفق أن تلك الرسالة وصلت حلة السيد الواصل، صاحب القول الفاصل، الجامع بين الفضائل والفواضل، الشيخ محمد

فاضل، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وبلغه في الدارين من كلما يتمناه، غاية مناه، وأسبل على المسلمين من غيوث بركاته، ما ينقذهم من ورطة هذا الفعل ومضراته؛ فكتب تلميذه اللبيب، الفاضل النجيب، محمد فاضل بن الحبيب، أحبه القريب، ورزقه من خير الدارين أوفر نصيب، رسالة تشعر من يقف عليها بأنه بشر يخطئ ويصيب:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد مع ايبه[90]

كما تلاحظ في هذه الرسالة الآداب العلمية والأخلاق الحسنة الرفيعة التي كان يتمتع بها العلامة الشيخ محمد بن أحمد الصغير، حيث بدأ رسالته هذه بالاعتراف بالعجز والتقصير والذنب الكثير، كما هو شيمة الأفاضل من هذه الأمة. كما يلاحظ في هذه الرسالة الاحترام الكبير الذي يكنه الشيخ محمد أحمد الصغير للشيخ محمد فاضل بن مامين، رغم اختلافه معه ومع تلميذه في الرأي، حيث يقول في أول هذه الرسالة – بعد أن لخص حجج الشيخ محمد فاضل

بن الحبيب-: (هذا حاصل ما ذكر صاحب الرسالة من الكلام في هذا المقام، ولولا تحصنه بحصن ذلك الولي الإمام، وما وجب له بسبب انتسابه إليه من الاحترام، لسددت إليه أكف الأقلام، كلاما يحكي وقع السهام)[91].

*المطلب الثالث: قيمة فتاويه:

لفتاوي الشيخ محمد فاضل بن مامين، أهمية كبرى. فهي ذات منحى اجتهادي مخالف للمنحى السائد في بلاد شنقيط؛ وبذلك أثارت جدلا واسعا بين مؤيديها ومعارضيها.

وبسبب كثرة تلاميذ الشيخ محمد فاضل ونجابتهم وتفرقهم في البلاد، انتشرت روح هذه الفتاوي في البلاد ووصلت إلى المغرب والسنغال.

وقد انتهج الشيخ محمد فاضل في فتاويه نهجا يراعي الضرورات، ويجنح إلى المصالح والمقاصد الشرعية، ويرجع في الاستنباط إلى الكتاب والسنة، ويتخير من المذاهب ما يراه أقوى دليلا، وأكثر موافقة لحال الناس في عصره.

وهو منهج خصب غني، يمكن للفقهاء أن يستفيدوا منه في عصرنا، في فتاويهم وأحكامهم، فيجدوا حلولا لكل ما يشكل من الأحكام في عصرنا.

*الخاتمـــة: استخلصنا من خلال معايشتنا لفتاوي هذا العلم، جملة من النتائج ،نستعرضها في ما يلي:

- ثراء الساحة الفكرية والعلمية في بلاد شنقيط في العصر الذي عاش فيه الشيخ محمد فاضل بن مامين.

- أن الشيخ محمد فاضل بن مامين كان موسوعة علمية بكل المقاييس، كما أنه من خلال قراءتنا لمختلف جوانب حياة هذا الشيخ اتضح لنا أنه كان مدرسة في العلم والعمل والزهد وحسن الخلق قل مثالها، كان لها ما بعدها؛ حيث تخرج منها رجال مثلوها في مختلف ميادين الحياة: (السلوك ،والجهاد ،والسياسة ،والعلم ،والولاية.(

-أن هذا الشيخ كان كثير الاطلاع على تصانيف وفتاوى علماء الأمة الإسلامية عموما، وبلاد شنقيط

خصوصا، وإن اختلفت مشارب أصحاب تلك الفتاوى والكتب، رغم اشتغاله بالعبادة وتدبير أمور الناس.

-رجوعه في الاستنباط إلى الكتاب والسنة، واستفادته من مناهج الاجتهاد المعتمدة سواء في المذهب المالكي أو في المذاهب الأخرى.

- اهتمامه بالمقاصد الشرعية وتفهمه للضرورات الكثيرة التي تحيط بحياة ساكني البادية، مما جعله يصدر الكثير من الفتاوى

التي تتلاءم مع واقع تلك الحياة، وإن خرجت عن مشهور المذهب المالكي.

لمحة تاريخية
عن التصوف بتونس

بقلم

الدكتور مازن الشريف

لا ينفصل تاريخ التصوف بتونس عن الحركة الصوفية في المشرق وبواكير انتقالها لبلاد المغرب منذ القرن الثاني والثالث للهجرة، لكنّها انتشرت بشكل جلي في القرنين الخامس والسادس ليكون ذلك منطلقا لانتشار واشع وظهور طرق وأعلام للتصوف في بلاد المغرب عموما. والأمر يرتبط أساسا كما سبق البيان بردّة الفعل القوية ضدّ انتشار الترف وظهور مظاهر لم يستسغها القوم فآثروا الزهد والاعتكاف والبعد عنها. ثم إن الحاجة الماسة لمراقبة ثغور المسلمين أوجدت رباطات جمعت بين الميل للزهد والرغبة في مراقبة الثغور وحماية المسلمين من الغزاة. وإن تونس كانت أنموذجا في ذلك فانتشرت الرباطات فيها مثل رباط المنستير ورباط سوسة ورباط قصر الطوب وغيرها. وهذه الرباطات ومن كان فيها جسدت روحا نقية للتصوف الزهدي حتى لئن لم يتبلور فيها تصوف طرقي معلن، أو ناقضتها بعض حركات تدعي الانتساب للتصوف.

لكن التصوف ظهر بشكل أجلى عبر أعلامه الذين ذاع صيتهم وكان أثرهم على الناس والمجتمع وعلى الحكام كبيرا، جامعين بين الزهد والرباط، وبين العلم ونفع الناس. ولا يمكن الحديث عن هؤلاء دون ذكر أبي سعيد الباجي الزاهد المرابط الفقيه. وأبي الحسن الشاذلي، ومحرز بن خلف الذي سمّاه أهل تونس بسلطان المدينة لما له من قيمة ودور كبير. وأحمد بن عروس الذي انتشرت طريقته العروسية وكان من تلاميذه بوراوي الفحل (الولي الأشهر بمدينة سوسة) والشيخ عبد السلام الأسمر. وكذلك السيدة المنوبية وما كان لها من دور اجتماعي وتأثير سياسي وروحي قوي. وإن الباحث في سير هؤلاء يجد شواهد وأدلة على دورهم الكبير ومقامهم الرفيع وسعة معارفهم وتبحّرهم في العلوم وخدمتهم للمسلمين ونصحهم للحاكم والمحكوم وزهدهم في السياسة والحكم وسياحتهم في الأرض تعبّدا وتزهّدا. وقد عمرت بهم أماكن سميت بأسمائهم لأنها لم تكن دونهم، مثل مدينة سيدي بوزيد التي سميت باسم

الولي الصالح بوزيد الشريف. أو مدينة سيدي بوسعيد التي لم تكن لولا وجود أبي سعيد الباجي في جبل المنار وتعبّده ودوره في مراقبة البحر لحماية تونس من القراصنة والغزاة ضمن خط رقابة جبلي يمتد إلى بنزرت قام عليه جماعة من الزهاد الذاكرين المرابطين. وأسماء المدن التي تسمت بأوليائها وأعلامها الصوفيين والمرابطين والزهاد كثيرة مثل سيدي علوان وسيدي علي بن نصر الله وسيدي عمر بوحجلة وسيدي مخلوف وسيدي سلام....

إن بعض المستشرقين نسبوا للزوايا الصوفية وأهل التصوف عامة الخمول والسلبية، وحاول المستعمر الفرنسي تبني بعضها، ولكن التاريخ يشهد بعكس ذلك، فقد كان للولي العابد والصوفي الزاهد أبو علي النفطي دور كبير في الحفاظ على المذهب المالكي بالجنوب التونسي حتى سمي بأبي علي السني. كما أن سيدي مهذب الشريف كان قائدا لكتيبة من المرابطين بين قابس وصفاقس كان معظمهم من مريديه، وكان العلامة سيدي علي النوري

الذي جمع بين الفقه والتصوف مجاهدا حتى أنه أنشأ في القرن السابع عشر للميلاد أسطولا بحريا لمواجهة القراصنة النرمان وحماية مدينة صفاقس. وقد دعمت الطرق الصوفية ثورة علي بن خليفة النفاتي ضد الاستعمار الفرنسي بشكل مباشر، وكانت تدعم حركات النضال والمقاومة وانخرط عدد كبير من الصوفية في ذلك ميدانيا. وكانت الزاويا ملجأ ومأمنا للمقاومين مثل زاوية سيدي عبد الله بوجليدة بتطاوين، والتي كانت أيضا مكانا لاجتماع القبائل لعقد الصلح ولفك النزاعات وغيرها من الأدوار التي اضطلعت بها الزوايا الصوفية بتونس. فبالإضافة لتعليم القرآن واللغة العربية والفقه، ونشر الكتاتيب في كامل أصقاع المغرب العربي الكبير، كانت تلك الزاويا ملجأ للناس بين فقير محتاج وغني مبتلى وهارب مظلوم أو عاص تائب، وكانت زاوية أم الزين الجمالية مثلا نموذجا لكل ذلك ولم يكن أحد حتى الباي يجرؤ على اقتحامها لما للولية الصالح أم الزين من مكانة استحقتها بمحبة الناس لها

وبكرامات أكرمها الله بها وعاينها الباي حمودة باشا بنفسه وهو من بنى لها زاويتها إكراما ومحبة واحتراما واعترافا رسميا بها، أو القائد جعفر بن خذر وفق رواية أخرى بعد أن شفعت له لدى الباي.

ولا يمكن الكلام عن التصوف في تونس دون ذكر العلاقة بين جامع الزيتونة وعدد من الزوايا الصوفية التي كان التلاميذ فيها يرتقون للوصول للدراسة فيه، فقد كان طلبة العلم في الجنوب يدرسون في زاوية الغوث في دوز أو زاوية النويّل قريبا من دوز ثم ينتقلون للدراسة في زاوية سيدي المولدي التي تخصصت في الفقه وتحفيظ القرآن والتزكية، وبعدها ينتقل المميزون منهم للدراسة في جامع الزيتونة. وكانت هذا الزوايا منارة للعلم والتربية.

أما غرب البلاد التونسية فلا يمكن الحديث عنه دون ذكر الزوايا الصوفية والصالحين من أهل التصوف والعرفان أمثال سيدي علي بن عون وزاوية سيدي احمد التليلي ودوره العلمي والإصلاح وكذلك دور جده سيدي تليل بن نصر العثماني (من أحفاد الصحابي

الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه) والصالحين من أبنائه وأحفاده وعلى رأسهم بوضياف ويونس.

أهم الطرق الصوفية بتونس

الطرق الصوفية بتونس كثيرة، منها طرق وافدة، وأخرى ناشئة محليا، ومنها طرق تفرعت عن طرق أخرى.

*الطريقة القادرية: نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني (470 هـ – 561 هـ)، وتذكر المصادر أن أول من أدخلها إلى تونس هو الشيخ محمد المنزلي، ومن أهم زواياها الزاوية القادرية بمنزل بوزلفة بالشمال التونسي وزاوية سيدي المولدي بالجنوب (مدينة توزر)، وزاوية سيدي إبراهيم الشريف بنفطة، وللطريقة القادرية عدد كبير من المريدين ولها جذور عميقة.

*الطريقة الشاذلية: نسبة لمؤسسها أبو الحسن الشاذلي(علي بن عبد الله بن عبد الجبار) (593-

656هـ) - (1197م-1258م). وهي ترتبط بشخصية الشيخ الشاذلي وأثره الكبير في حياة الناس في تونس بداية ثم في مصر وفي الأحداث كما سبق البيان. وهذه الطريقة منتشرة بشكل كبير ومقرّها الأساس زاوية الشيخ الشاذلي بتونس العاصمة قرب مقبرة الجلاز حيث المغارة الشهيرة التي كان يعتكف فيها. ومن تلاميذه في فترة إقامته بتونس رجال الأربعين[24]

---

[24] [رجال الأربعين نشروا الطريقة الشاذلية وكانوا من تلاميذ الشيخ الشاذلي وحوصروا معه قبل خروجه من تونس واشتهروا بالولاية والصلاح وأغلبهم معلوم إلى اليوم في مقاماتهم التي حافظ عليها التونسيون ويزورونها باستمرار وتسمى بعض المناطق بأسمائهم ولهم مناقب تخص كلا منهم وهم: أبو الحسن علي الحطاب- محمد القرطبي-ماضي بن سلطان-عبد المغيث الطنجي – عبد الملك الزعزاع- احمد الغرابلي-عمر السبتي-محمد الصمعي- أبو محمد الحبيبي -علي بن مخلوف- محمد الصابوني -عمر الجاسوس- إبراهيم المز وغي – احمد اليمني- إبراهيم الزواوي- محمد الفارسي- محمد الريغي – علي ا لمزاتي- أبو القاسم القرطبي- محمد القطاع- إسماعيل الهنتاتي – تاج الدين الصنهاجي- محمد الجباس- عطية المسروقي-

الذين نشروا الطريقة بعده ورأسهم الشيخ علي الحطاب (يلقب ببواب مكة) وسيدي ماضي بن سلطان. وأعلام الطريقة الشاذلية كثر من أهمهم الشيخ أبو المواهب الشاذلي وكان شيخا للعارف بالله سيدي أحمد زروق. وأوراد الشاذلية وأدعية الشيخ الشاذلي مثل حزب البحر وحزب الفتح مشهورة في تونس وتردد لليوم في مقام الشيخ الشاذلي مع الكثير من الدروس في الفقه والعقيدة والتصوف.

*الطريقة التجانية: تنسب لمؤسسها الشيخ أحمد التجاني. وكان أول من أدخلها لتونس سيدي إبراهيم الرياحي الفقيه العلامة (1180-1266 ه). وكان في

علي القرجاني- عبد الرحمان الصقلي- بوزيان الداودي- سعدون الأسمر – بلقاسم الدباغ- محمد الشريف- محمد القوافي- عبد الله القرطبي- محمد التراب – احمد المزوغي- عبد الرحمان السبتي – محمد الغماري – سالم التباسي – حسين السيجومي – عبد الوهاب – سفيان الباجي -عبد الرحمان الحلفاوي- ابن خلف المسروقي.

البداية شاذلي الطريقة ثم التقى الشيخ علي بن حرازم تلميذ الشيخ التجاني والتقى بعد ذلك الشيخ التجاني بالمغرب ضمن زيارة رسمية كلفه بها الباي. كما كان له لقاء شهير في مدينة تماسين بالجزائر بسيدي الحاج علي التماسيني خليفة سيدي أحمد التجاني. وللطريقة التجانية انتشار كبير في تونس أيضا وأعلام معروفون.

*الطريقة العروسية: نسبة للولي الصالح العارف بالله سيدي احمد بن عروس (أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الهواري، المعروف بأبي الصرائر، ولد عام 778 هـ بمدينة تونس وتوفي بها في 21 أكتوبر 1463 (عام 868 هـ). وقد نشرها بشكل كبير الشيخ عبد السلام الأسمر أخذا عن الشيخ أحمد بن عروس وعن الشيخ بوراوي الفحل. ولها امتداد بتونس وليبيا.

*الطريقة العيساوية: (نسبة للشيخ محمد بن عيسى المغربي الحسني دفين مكناس من رجال القرن

التاسع للهجرة يلقب بالشيخ الكامل). ولهذه الطريقة منتسبون في كامل المغرب العربي ولها وجود عميق بتونس ومدائح وأذكار تتميز بها.

*الطريقة المدنية: متفرعة عن العلوية الدرقاوية الشاذلية، تنسب للشيخ محمد المدني وهو من مجددي التصوف في القرن الماضي بالبلاد التونسية. أسس زاويته بمدينة قصيبة المديوني سنة 1911 ويخلفه اليوم ابنه الشيخ محمد المنور المدني، وهي طريقة منتشرة جدا في تونس وفي دول كثيرة كفرنسا وإيطاليا وكندا، بل هي بفرعيها (الإسماعيلية ثم القاسمية المتفرعة عنها) أكثر الطرق انتشارا في البلاد التونسية اليوم ولها دور هام وكبير.

*الطريقة الإسماعيلية: نسبة للشيخ إسماعيل الهادفي رحمه الله، وهو من علماء الزيتونة، ومن مريدي الشيخ محمد المدني، فالطريقة الإسماعيلية متفرعة من الطريقة المدنية، ولها زاوية في مدينة توزر، وزوايا فرعية أخرى.

*الطريقة القاسمية: نسبة للشيخ بلقاسم بالخير، وكما سبق البيان هي متفرعة من الاسماعيلية المدنية، وهي من أكثر الطرق انتشارا في تونس.

وهنالك طرق أخرى كالطريقة الرحمانية الخلوتية (زاوية سيدي علي بن عيسى بالكاف) والبرهانية الدسوقية نسبة للشيخ إبراهيم الدسوقي) ولها وجود في الجنوب التونسي خاصة (زاوية البرهانية بمدينة بنقردان)، وفي مدينة قصر هلال التابعة لولاية المنستير الساحلية.

كل هذه الطرق وسواها امتزجت بالقافة التونسية وكان لها عميق الأثر في حياة التونسيين في مختلف الجوانب، ورغم الإهمال الذي طال عديد الزوايا كما سيرد البيان فإن الطرق الصوفية بتونس ركن مهم وأساسي، وكذا الشأن للطرق الصوفية بالمغرب والمشرق العربي والعالم الإسلامي وهي كثيرة ليس هذا سياق تفصيلها.

دور زاوية الشيخ الداعية المربي

سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري

في إحياء العلوم الشرعية وتخريج العلماء[25].

بقلم

الشيخ محمد سالم مفتاح العجيل

أستاذ الحديث الشريف وعلومه بالزاوية الأسمرية

خطيب مسجد الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري

---

[25] من أهم الزوايا في العالم الإسلامي، مقرها في مدينة زليطن بليبيا، وقام المتطرفون بتخريبها وتفجيرها بتاريخ المتطرفين يوم23-8-2012

المقدمة[26]:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإنه يشرفني أن أشارك في ندوة تُعقد في بلد له مكانته السامية، وتربطنا به وثائق وعرى لا تنفك، ومن السعادة بمكان أن يكون الحديث عن سادة بذلوا أعمارهم في إرشاد الخلق إلى الله، ولهم قدم السبق في العلم والأدب والورع والتقوى والذكر، فلهم من الرضا آمين.

واني إذ أكتب هذه الكلمات أعلم يقينا أني لست أهلا لذلك، ولكن لي أمل فيما قرأته عن العلامة المحدث ابن الصلاح الشهرزوري الدمشقي قوله: ((أليس بذكر

---

[26] هذه مقدمة البحث كما طبعت في أعمال الندوة المذكورة 321/1.

الصالحين تتنزل الرحمات؟!))، فاللهم أمطرنا بفضلك آمين.

وكان اختياري أن أتحدث عن مدرسة ربيت فيها صغيرا، وها أنا أتجول في زواياها ظاهرا ومعنى، وأعتلي منابرها، وأستقي من سير أعلامها، فجزاهم الله كل خير.

هذه المدرسة هي مدرسة الولي الصالح والعلامة الفاضل سيدي عبد السلام بن سليم الأسمر الفيتوري الإدريسي الحسني عليه رحمات الله ورضوانه دفين زليتن ليبيا.

وقد تعبت كثيرا في كتابة هذه الورقات، لأجل جمع شتاتها، وما تفرق بين طيات الكتب والوثائق والمخطوطات، ولكثرة ما وجدت انتقيت، وفي بعض الأحيان التقطت ما بدا لي، وأنا بصدد عمل موسوعة تعنى بهذه المدرسة وطلابها ومريديها شرقا وغربا – إن شاء الله -.

وقد ألف العلماء والكتاب حول هذه الشخصية كتبا عديدة، وأقيم حوله مؤتمر دولي سنة2008، قدمت بحوث مختلفة حوله، وسأحاول فيه هذا البحث أن أضيف أشياء جديدة، لا سيما وقد اعتمدت على مخطوطات ووثائق لأول مرة تظهر.

وقد قسمت الورقة البحثية إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين، وزعت فيها ما وقفت عليه من معلومات مميزة ومهمة، والله الموفق لكل خير وصل الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

في ترجمة الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الإدريسي الحسني.

إن الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الحسني صاحب المدرسة الصوفية العلمية والتي هي موضوع هذه الورقات ترجم له كثر في طيات كتبهم وضمن تراجمهم، وأنا هنا أختصر ما ذكر في كتاب موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين670/1[27]: الشيخ عبد السلام الأسمر أبرز أقطاب التصوف الإسلامي الذين ظهروا في القرن العاشر الهجري، وهو رمز لطريقة صوفية تسمى باسمه هي: السلامية، التي

---

[27] ومن الكتب التي ترجمت للشيخ الأسمر: أعلام ليبيا للشيخ الطاهر الزاوي، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ومواهب الرحيم في مناقب عبد السلام بن سليم لمحمد عمر مخلوف صاحب كتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ورسائل الأسمر، تحقيق الدكتور مصطفى بن رابعة.

تعد استمرارا للطريقة العروسية [28]... وللشيخ عبد السلام الأسمر دور كبير في تطوير أدب السماع ومجالس الذكر والإنشاد ، مع الاهتمام الكبير جدا بمجالس العلم ، أخذ عن شيوخ كثر، واكثر من ملازمة الشيخ العلامة عبد الواحد الدوكالي، وبعد تخرجه عنده تنقل في بلدان مختلفة ناشرا للعلم مربيا للمحبين، حتى استقر به المقام في بلد زليتن، وبها أنشأ زاويته، سنة912هـ، ولم يزل ناشرا للعلم

---

[28] والطريقة العروسية السلامية: هي منهجية شرعية تخصصت في علاج أمراض القلوب بالعلم والذكر والأخلاق والمجاهدة، ملتزمة في كل ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان من روادها الكبار الشيخ أحمد بن عروس ولذا قيل: (عروسية)، ومن مجدديها الشيخ عبد السلام الأسمر، وانتشرت في البلدان العربية والأفريقية وغيرها، فأطلق البعض اسم : (السلامية). ينظر: المنارات الشرعية ودورها في العناية بالسنة النبوية (المنارة الأسمرية أنموذجا) ص546. وقد اتصل بأسانيدها جمهرة من العلماء والأولياء، ومنهم: العلامة أحمد زرّوق، والمحدث الشيخ محمد بن جعفر الكتاني. ينظر: المحدث الكبير العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي شيخ مشايخ العصر في المغرب والحجاز وبلاد الشام ص774.

مستقبلا للمهاجرين من الطلاب، محبا لهم عطوفا عليهم، باذلا كل وقته لهم، حتى لبى نداء ربه سنة 981هـ.

قال الدكتور محمد أحمد الوليد: وليٌ من أولياء الله الكبار الذين كان لهم أثرٌ في توجيه الناس إلى الالتزام بأمر اللهِ ونهيه ، والسير على سنن رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، والتسليم بقضاء الله وقدره ، كان عالماً ربّانياً علّم النّاس القرآن ، ودرّسهم العلوم ، ودعا إلى الحذر من حبّ الدنيا ، والزُّهد في بهرجها ، وبنى مدرسة (الزّاوية) لتدريس العلم الشّرعي ، وتخرّج منها علماء كبار على مر الأيام إلى زمننا هذا ، وكان لها الدور البارز في مواجهة الدّعي الكاذب يحيى السُّويدي الذي تبعه شراذم النّاس وجهّالهم بعد أن أقنعهم بأنّه المهدي المنتظر ، وقد علم يقينا أنه لن يستقيم له الأمر في إقامة دعوته الكاذبة إلا بهدم هذه المدرسة وتخريبها ، ولقد فعل ذلك فهجم عليها بجنده فهدم أركانها، ونهب خيراتها ، وعاث فسادا بوقفها ، و لقد دفع الشيخ عمران بن عبد السلام

الأسمر دمه في الدفاع عنها فسقط شهيداً ، وحُرِّقت مخطوطاتٌ قيمةٌ يقال إن منها مؤلّفاتٍ للشيخ الأسمر في علوم الشّريعة ومكارمها[29].

وقال أيضا: "إن ما لا يغيب عن العقل والقلب تلك الكرامةُ الكبرى التي نراها كلّ يوم برهاناً على صدق هذا الرّجل الصّالح؛ ألا وهي تلاوةُ القرآن وحفظه قرب قبره مذ خمسة قرون لا ينقطع أبداً، في وضح النهار ، وفي ظلمة الليل البهيم الأليل"[30].

وقال الدكتور محمد عز الدين الغرياني متحدّثا عن الشيخ عبد السلام الأسمر : " يعتبر من أكبر الرموز التي عرفتها الديار الليبية في خدمة العلم والقرآن...أدى معهده ومدرسته من الخدمات العلمية ما لم تؤده أي مدرسة أخرى، سواء من حيث الكثافة، أو من حيث المدة الزمنية الطويلة عبر القرون إلى يوم

---

(29) من مقال منشور للدكتور محمد أحمد الوليد بعنوان: عبد السّلام الأسمر عالم رباني يستحق دراسات أخرى.

(30) من مقال منشور للدكتور محمد أحمد الوليد بعنوان: عبد السّلام الأسمر عالم رباني يستحق دراسات أخرى.

الناس هذا، وما من مدرسة أو معهد فقهي، أو قسم من أقسام اللغة العربية في غرب البلاد وشرقها، وشمالها وجنوبها، إلا وفيه من درس في المعهد الأسمري، أو تتلمذ على من درس فيه مباشرة، أو بفاصل شيخ أو شيخين أو ثلاثة، ولا يستثنى من هذا الحكم معهد الظهرة بطرابلس أو الجامعة بالبيضاء، أو أي قسم من أقسام الدراسات الإسلامية في مختلف الجامعات المنتشرة في أرجاء بلادنا"[31].

ويصدق فيها قول أحد خريجي الأسمرية العلامة الدكتور عبد المولى البغدادي يناجي الزاوية الأسمرية:

يا شُعْلَةَ النُّوريا أمّ المنارات   يا روضَةً للتَّجَلّي والمناجاة

أنتِ الفَخار لأجيال بذَلْتِ لَهُمْ   أشهى وأجمل أنواع المودّات

---

(31) ينظر: عبد السلام الأسمر آراؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الإسلامية ص7.

أقوال العلماء والبحاث والمتخصصين في الأيادي البيضاء التي قدمتها الزاوية الأسمرية للإسلام والمسلمين.

وكانت زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر منذ تأسيسها قبلة لطلاب العلم من كل مكان، وأثنى عليها الكتاب والبحاث والمؤرخون، وضمنوها أشعارهم، حتى قال "أحمد الفقيه حسن" المؤرخ الليبي مفتخرا بالعلم والعلماء في البلاد الليبية، وحاثا الشباب على سلوك سبيل التعلم [32]:

فكَمْ إمَام مِنْ طرابلس الـ ـغرب لَهُ بين الورى مِنْ أياد

هذا ابنُ مَنْظُور تآليفهُ   تُتلى على الأسماع فِي كُلّ نَاد

والأسْمَرُ القُطبُ كراماته   قدْ طبّقت آفاقَ كُلّ البلاد

---

[32] ينظر: صحيفة اللواء الطرابلسي (1919 -1922) اتجاهاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ص213.

والعالم الزَرُوق أقْوَالُهُ للفُقَهَاءِ حُجَّة واستِنَاد

هَذا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ وَلاَ يَعُدُّهُمْ إذْ هُمْ بالحَصرِ عاد

ويقول الشاعر "امحمد أبو سطاش"[(33)]:

حَيِّ الرُّبُوعَ الحَاضِرَاتِ الأسْمَرَا

طُولَ الزَّمَانِ تَضُوعُ مِسْكًا أذْفَرَا

يَا طَالِبَ العِلْمِ افْتَخِرْ بِمَنَارَةٍ

فِيهَا تُضَاهِي بالعُلُومِ الأزْهَرَا

هَذِي جُمُوعُ الدَّارسِينَ تَقَاطَرَتْ

مِنْ كُلِّ فَجٍّ بالمدَائِنِ والقُرَى

قال الدكتور إبراهيم ارفيدة ناقلا من كلام الشيخ الطاهر الزاوي: "والزوايا كان لها دور وشأن كبيران في المجتمع الليبي، وتاريخه وحياته الروحية والعلمية، إذ كانت مساجد عبادة، ومراكز تعليم- خصوصا في

---

(33) مجلة الجامعة الأسمرية العدد05، ص601.

عهود الاستعمار- ومأوى للطلاب، ومصدر إعاشة لهم بأوقافها التي أوقفها المحسنون عليها، كما كانت ثكنات للجهاد، وتجمع المجاهدين....، وأبرز هذه الزوايا وأظهر نموذج لها: زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر بزليتن".

وأقول – إبراهيم ارفيدة -: هذه الزاوية من أشهر زوايا القطر الليبي إن لم تكن أشهرها، وقد أصابها ومسجدها تغير واسع، وتطور كبير منذ استقلال ليبيا إلى الآن، إذ تحولت أولا إلى معهد ديني إعدادي وثانوي، ثم حُول إلى مبنى جامعي كبير..." (34).

وقال الدكتور الصديق يعقوب: ((زاوية الشيخ مؤسسة علمية ثقافية دأبت منذ نشأتها الأولى في القرن العاشر الهجري على القيام بدور فكري ثقافي رائد في هذا القطر من أقطار العالم الإسلامي، وخلال أربعة قرون أو تزيد كانت حلقة وصل بين الماضي والحاضر، تحيا في أركانها لغة القرآن، ويتصل سند

---

(34) مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 82.

هذا الكتاب الكريم بين أجيال المعلمين والمتعلمين فيها رواية وضبطا وسماعا وحفظا، وتتردد بين جنباتها مرويات السنة ومباحثها سندا ومتنا، من أجل ذلك لازمها المجاورون، وشد إليها الأباعد الرحال، وكانت محطة توقف للرحالة والحجاج، يمرون بها مشرقين ومغربين، ويقيمون هنا ضيوفا على أسرتها، يحصلون فيها الدروس، أو يقومون لطلابها بالتدريس، ويتحاورون مع أساتذتها))[35].

وجاء في ندوة " التعليم الأهلي": ((واشتهرت زاوية عبد السلام الأسمر بزليتن وبدورها الريادي في تعليم أبناء البلاد، ورقيهم الحضاري والثقافي، بما قدمه مؤسسها الشيخ في الحياة الفكرية والثقافية داخل ليبيا، وما سجلته بطون الكتب من الحركة العلمية في زليتن، وذهاب طلبة العلم إليها من شرق البلاد وغربها وكذلك جنوبها، وهي جديرة بالدراسة والتمحيص، والتأمل في سيرها الدراسي اليومي

(35) ينظر: زاوية الشيخ بزليطن مسيرة علمية عمرها أربعة قرون ومركب في الثقافة الإسلامية فريد ص423.

والسنوي، ونتائجه على طلبة العلم والعلماء، من حفظ لكتاب الله العزيز، وتدريس العلوم الشرعية مع العلوم الأخرى، فكانت بحق جامعة شاملة لكل فنون المعرفة))[36].

وقال الأستاذ سالم الكبتي: ((يظل الدور المؤثر والفعال في هذا الإطار للزوايا والمعاهد الدينية داخل البلاد، على سبيل المثال: الأسمرية في زليتن.....وغيرها، التي يرجع إليها الفضل الكبير في انطلاق بدايات التعليم الأهلي في البلاد، كانت تلك البذرة الأولى))[37].

وقال الدكتور عمر التومي الشيباني: ((ومن أشهر الزوايا والمعاهد والمدارس التعليمية التي كانت ناشطة في التعليم الديني واللغوي في العهد التركي والتي أسست قبل هذا العهد أو أثناءه هي الزوايا

---

(36) ينظر: التعليم الديني (التعليم الأهلي) خلال الفترة من (1835 – 1950) والتغيرات التي طرأت عليه. ص557.

(37) ينظر: من تاريخ الجامعة الليبية ص18.

والمعاهد والمدارس التعليمية الدينية التالية: زاوية الشيخ عبد الله الدوكالي بمسلاته...، وزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري التي أسسها الشيخ عبد السلام نفسه في مدينة زليتن سنة912هـ - 1506م) [38].

وجاء في أعمال الندوة العلمية " الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم"؛ ((من أكبر الزوايا في ليبيا عموما من حيث حجم بنائها ووفرة إمكانياتها وكثرة روادها من طلاب العلم والمعرفة.... لو لم يكن لزليتن وأهلها أجمعين من دور في صنع الحياة على هذه الأرض الطيبة سوى زاوية عبد السلام الأسمر الفيتوري لكفاهم ذلك فضلا وشرفا بين أبناء أمتهم وأهل وطنهم؛ لما أسدته تلكم المنارة من جمائل وأفضال لا تحصى لأبناء الوطن، لن ينساها لها التاريخ، أو ينكرها عليها منصف، حيث قدمت عطاءها في زمن عز فيه القرطاس والقلم، بل كان

(38) ينظر: الثقافة والتعليم في ليبيا في العهد التركي ص144.

جريمة يعاقب عليها قانون المستعمرين والدخلاء على الوطن)).

وفيها أيضا " ((لقد كانت زاوية الشيخ عبد السلام بن سليم الفيتوري ولا زالت وستظل بإذن الله منارة العلم، وقبلة طلابه، وملجأ الفقراء والمساكين، ومأوى اليتامى وعابري السبيل، تمثل أكبر مؤسسة للرعاية الاجتماعية عرفتها بلادنا في تاريخها الوسيط والحديث والمعاصر....

أما عن عدد الذين تعلموا بها فإنه لا يمكننا إحصاء عددهم لكثرتهم، ونذكّر بأن أغلب الكوادر العلمية والقيادات الوظيفية في مختلف القطاعات التي قامت على كاهلها الإدارة الليبية الحديثة في مجالات القضاء والتعليم والأمن وغيرها هي من خريجي الزاوية الأسمرية أو الدارسين بها المشهود لهم بالكفاءة والنزاهة والالتزام))[39].

---

(39) ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص222-223.

وقال الدكتور إبراهيم أحمد أبو القاسم من مدينة تونس: ((ومن الزوايا المهمة في ليبيا زاويتا المحجوب بمصراته، وسيدي عبد السلام الأسمر بزليطن، وقد لعبتا هاتان الزاويتان دورا مهما في تخريج فقهاء يحفظون القرآن والفقه، فإن خريجي الزوايا أشباه مبشرين يتنقلون في الجبال والصحارى يقومون بالتعليم في الكتاتيب والوعظ والإرشاد في الجوامع، وكان لخريجي هاتين الزاويتين إشعاع بالبلاد التونسية إذ هاجر الكثير منهم إلى تونس ضمن أفواج المهاجرين الذين نزحوا إلى تونس))[40].

وكان العلماء يوفدون طلابهم لهذه الزاوية ، ومنهم الشيخ شكري أحمد بن حمادي، المولود سنة1914م، الذي درس في قريته ثم في ميزران وفي غيره، ثم تولى إدارة مدرسة أحمد باشا القرآنية، ثم تولى الإشراف على طباعة مصحف جمعية الدعوة، أشرف على إيفاد الكثير من الطلبة للدراسة بزاوية الشيخ

(40) ينظر: المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية ص84-85.

بزليتن، ثم إلى الأزهر لتحصيل العلم وكان يتعهد بسفرهم وإقامتهم وتحصيلهم، بل ويسافر إلى أماكن دراستهم ليراقب عن كثب سير تحصيلهم، وله مؤلفات عديدة في الرسم القرآني والفلك، توفي سنة1996م [41].

ونظرا لأهمية هذه الزاوية ودورها قام البعض ببناء الكثير من المدارس والمساجد وتسميتها باسم الشيخ عبد السلام الأسمر في ليبيا وخارجها، تيمنا باسمه الذي كان له دور في نشر الإسلام والعلم، وسيرا على نهجه في الفقه والعقيدة والأخلاق، ومنها: جامع تواسك في وادي الشاطئ الذي شيد تخليدا لذكرى الشيخ عبد السلام الأسمر[42].

(41) ينظر: مقدمة تحقيق المدد الفائض في علم الفرائض ص52.

(42) ينظر: تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي ص304.

المبحث الأول: النظام التعليمي بالزاوية:

لقد مرّت الزاوية بمراحل عديدة، حسب التغيرات العلمية والفكرية والسياسية والاقتصادية، وسأحاول حصر هذه المراحل بإيجاز، وذكر الطرق المتبعة في كل مرحلة، من تحفيظ وتعليم وتذكير، وذكر المناهج الدراسية وبعض طرق التدريس، والكتب المقررة، والامتحانات والإجازات.

ومع كل هذه المراحل حافظت الزاوية على خصوصيتها الليبية والمغاربية، المتمثلة فيما ذكره علماء المغرب الإسلامي، وساروا عليها كابرا عن كابرا، في الفقه والعقيدة والأخلاق، كما قال الإمام ابن عاشر:

فِي عَقْدِ الاشْعَري وفِقْهِ مَالِكِ *** وفي طَريقَة الجُنَيْدِ السّالِكِ

ولذلك تجد ترابطا كبيرا بين الزاوية الأسمرية والجامعة الزيتونية العريقة، وكذلك الجامع

الأزهر، والقرويين، ولذلك لمحافظة هذه المدارس على الخصوصية المتمثلة في الفقه المذهبي وانتشار مذهب الإمام مالك في المغرب الإسلامي ابتداء بليبيا وحتى موريتانيا وغيرها من البلاد الأفريقية، وصعيد مصر، واتفاقها في المنهج العقدي الأشعري، وكذا الأخلاق والتربية والتصوف حسبما أسس لها الإمام الجنيد كما قال فيما أثر عنه: علمنا مقيّد بالكتاب والسنة.

ولا ننسى أن نشير إلى أن الزاوية الأسمرية كما حافظت على منهج المدينة المنورة في الفقه وهو فقه إمام دار الهجرة الإمام مالك، كذلك حافظت على قراءة دار الهجرة في القرآن الكريم، وهي رواية الإمام قالون المدني عن الإمام نافع المدني، برسم الداني.

مراحل الدراسة في الزاوية الأسمرية:

كان منهج الشيخ عبد السلام الأسمر التعليمي الدعوي الإصلاحي يستهدف شريحتين:

الأولى: من كان في طور الدراسة والطلب، وهؤلاء إضافة إلى حفظهم للقرآن الكريم، انتظموا في الحلقات الدراسية لتناول مباحث العقيدة والتفسير والفقه وأصوله والحديث وأصوله، وعلوم اللغة العربية وآدابها، وغير ذلك

الثانية: كبار السن ومن فاته ركب التعليم بسبب مشاغل الحياة ومتطلبات المعيشة، وهؤلاء انتظمت بهم حلقات الوعظ والإرشاد من خلال تبسيط المعلومات وتوصيلها إلى عقولهم[43].

وهذه التركيبة من الاهتمام بالشريحتين لازمت الزاوية منذ تأسيسها، ولحق التطوير كلا منها، ولم يغب عن الشيخ أن يربي تلاميذه بالتطبيق العملي للعلم الذي يتعلمونه، فلذلك كان طريقته العروسية كالتمارين التي بها يتدرب الطالب عمليا على ما يتعلّمه، لاسيما والقاعدة تقول: العلم ينادي بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل، ويسير الطالب سواء المتفرغ أو

---

(43) الجامعة الأسمرية أسس وجذور ص472.

الخير متفرغ في طلبه للحمل وسماعه للدروس العلمية والوعظية مع تطبيق ما يتعلمه في بيته أو في الشارع أو القرية أو المسجد، وبذلك يترقى في مدارج السالكين.

**المناهج التعليمية: مرت الزاوية بمراحل تعليمية تطور فيها التعليم حسب مقتضيات التطور الذي لحق الأزهر الشريف والزيتونة لما ذُكر آنفا من الترابط الشديد والأكيد بين المدارس الثلاث في الفقه والعقيدة والتصوف، وما الأسمرية إلا امتداد لهما.

المرحلة الأولى : وهي منذ التأسيس سنة912 وحتى وفاة الشيخ سنة988هـ.

وكان الشيخ فيها هو المربي والمعلم والمدرس، فكان يعقد حلقات خمس، من بعد الفجر وحتى العشاء، تتخللها مجالس الذكر والتربية، فكان يبتدئ

بالعقائد، ثم هكذا تباعا الفقه واللغة والأخلاق، وما بين ذلك دراسة لأصول الفقه والحديث وغيره.

وكان الشيخ يستثمر فرصة مجيء الطلاب الكبار العلماء المتخرجين والذين يأتون لزيارة الزاوية ومؤسسها، ويطلب منهم القيام بنشر ما عندهم من علوم للطلاب ولعامة الناس، كما حصل من الشيخ سالم السنهوري وغيره.

المنهج:

أولا: حفظ القرآن الكريم بطرقه الموجودة اليوم.

ثانيا: الدروس العلمية، وتبدأ بعد صلاة الفجر حتى صلاة العشاء، في برنامج علمي متكامل، يشمل علوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، والعلوم الشرعية من فقه وأصول وحديث وتفسير، وعلوم الأخلاق، وكذا بعض العلوم الأخرى كالطب والفلك.

وفي هذه المرحلة تخرج ودرس مجموعة من العلماء والأساتذة ومنهم:

1. سالم السنهوري، مفتي المالكية بالأزهر.
2. محمد بن عبد النبي الجبالي.
3. صالح مبارك الفيتي.
4. سالم بن طاهر الأنصاري.
5. محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني الحطاب.

المرحلة الثانية: بعد وفاة الشيخ الأسمر وحتى سنة1356هـ.

ولاشك أن الزاوية شهدت تطورا في هذه الفترة، ولكن الغموض الذي اكتنف هذه المرحلة جعل البحّاث يقفون عاجزين عن معرفة ما صحب هذه الفترة من تطور وتحديث، ومرجع ذلك عدم الوقوف على وثائق ومخطوطات تؤرخ لتلك الفترة بالدقة

المطلوبة، أضف إلى ذلك ما مرت به تلك المرحلة من حروب واعتداءات متتالية.

منها الهجوم على الزاوية وحرق مكتبتها التاريخية والمتمثلة في 500 مجلد في ذلك الوقت، حرقت كاملة، بالإضافة إلى تدمير الزاوية وملحقاتها، ومطاردة أساتذتها، وقتل المسؤول عن الزاوية آنذاك وهو ابن الشيخ عبد السلام الأسمر واسمه: عمران رحمه الله تعالى، وكان ذلك بعد وفاة الشيخ عبد السلام الأسمر بخمسة عشر سنة تقريبا.

وما وقفنا عليه يمكن تلخيصه في الآتي:

كان الطالب في الزاوية يمر بقسمين:

القسم الأولي [٤٤] :

---

(٤٤) هذا النظام التعليمي لم تزل الزاوية تحتفظ به مع كل تطور لحقها حتى الوقت الحالي، ولذلك فسأكتفي بذكره هنا؛ مع أن كل مرحلة من مراحل التطوير للتعليم الديني يسبقها ضرورة تعليم وحفظ القرآن الكريم رسما وضبطا وحفظا.

وفيها يتعلم الطالب الآتي:

1. التعرف على الحروف الهجائية حفظا ورسما.
2. بعد ذلك يكتب كل يوم مقدارا من القرآن الكريم يناسبه حتى يختم القرآن الكريم كله.
3. يلقّن في هذه المرحلة بعضا من المتون العلمية، كمتن الآجرومية، وابن عاشر، وغيره.

القسم المتوسط والنهائي:

هذه المرحلة تجمع ما يعادل التعليم الثانوي والتعليم الجامعي والعالي، ولم يكن هناك فصل بين هذه المراحل، وفيها الآتي:

1. يقع الجمع بين المراحل نظرا لمؤهلات الطلبة الفكرية.
2. نظرا إلى إمكانيات الزاوية من حيث الأساتذة الأكفاء.
3. الطالب هو الذي يحدد الحلقة الدراسية التي يختار الجلوس فيها.

4. قد يلازم الطالب أستاذا واحدا يدرس عليه مختلف العلوم والفنون.
5. جرت العادة أن الحلقات العلمية تبدأ مع طلوع الفجر ولا تنتهي حتى العشاء[45].

الكتب المنهجية[46]:

أولا : علم القراءات والرسم والضبط:

1. التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت444هـ.
2. القصيدة اللامية المسماة: حرز الأماني ووجه التهاني، نظم العلامة أبي القاسم القاسم الشاطبي ت590هـ.
3. مورد الظمآن في رسم القرآن، تقع في (609) أبيات، للإمام الخرازت 718هـ.
4. عمدة البيان في رسم القرآن، تقع في (153) بيتا، للإمام الخراز ت718هـ.

ثانيا: علم الكلام (التوحيد):

---

[45] ينظر: الجامعة الأسمرية أسس وجذور ص472.

[46] ينظر: الجامعة الأسمرية أسس وجذور ص475.

1. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تأليف: أبو بكر محمّد بن الطّيّب الباقلاني ت 403هـ.
2. عقائد الإمام محمد بن يوسف السنوسي ت895هـ. (الكبرى والوسطى والصغرى).
3. عقائد الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري ت981هـ.

ثالثا: علم التفسير:

1. تفسير البيضاوي ت685هـ. المسمى: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).
2. تفسير الخازن ت741هـ. المسمى: (لباب التأويل في معاني التنزيل).
3. تفسير الثعلبي ت427هـ. المسمى: (الكشف والبيان في تفسير القرآن).

رابعا: علم الحديث:

1. الموطأ للإمام مالك ت179هـ.
2. صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ت261هـ.
3. المنتقى شرح الموطأ للإمام الباجي ت474هـ.

4. علوم الحديث للإمام ابن الصلاح الشهرزوري ت643هـ.
5. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ت852ه.

خامسا: علم الفقه:

1. الرسالة لابن أبي زيد(ت386ه) بشرح زروق ت899هـ، وابن ناجي ت837هـ، والقلشاني ت863ه.
2. مختصر خليل لسيدي خليل بن إسحاق الجندي ت776هـ.
3. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، للقاضي ابن فرحون ت799ه.

سادسا: علم أصول الفقه:

1. منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل للإمام ابن الحاجب ت646هـ، بشرح الإيجي ت756ه، وحاشيتي التفتازاني ت791هـ، والجرجاني ت816هـ.
2. جمع الجَوامع للحافظ السُبكي ت771هـ بشرح الإمام جلال الدين المحلي ت864هـ.

3. تنقيح الفصول للشهاب القرافي ت684هـ.
4. الورقات لإمام الحرمين الجويني ت478هـ.

سابعا : علم الفرائض :

1. مختصر الحَوْفي، لابن عرفة الوَرْغَمي ت803هـ.
2. الدرة البيضاء للأخضري ت983ه بحاشية محمد الدرناوي ت1199هـ.

ثامنا: السيرة النبوية:

1. السيرة النبوية لابن هشام ت213هـ.
2. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ت544هـ.

تاسعا: التصوف:

1. تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس لابن عطاء الله ت709هـ.
2. الحكم العطائية لابن عطاء الله ت709هـ.

عاشرا: اللغة العربية:

1. الآجرومية لأبي عبد الله محمد المعروف بابن آجروم ت723هـ.
2. قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ت761هـ.

3. الألفية لابن مالك ت672ه، بشرحي ابن هشام ت762ه، وابن عقيل ت769هـ.
4. تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ت739هـ، بشرح السبكي ت773هـ، والتفتازاني ت792ه، والإسفراييني ت945هـ.
5. مقامات الحريري ت516هـ.

حادي عشر: علم المنطق:

1. المختصر لمحمد بن يوسف السنوسي ت895ه.
2. الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق للخونجي، ت624هـ.

ثاني عشر: علم الفلك:

نظم عبد الحق بن علي البطوي المعروف بنظم أبي مقرع ت731هـ.

الإجازات:

لم تكن هناك ضوابط خاصة بالامتحانات، ولكن إذا ما أنس الطالب في نفسه الكفاءة طلب الإجازة من أستاذه فيما قرأه عليه، فيجيزه بذلك، وتسمى (إجازة التصدير)، وقريب منها (إجازة الرواية).

ظل هذا المنهج قائما حتى سنة1356هـ 1937م.

من الأعلام الذين درسوا في هذه الحقبة:

1. الشيخ عبد القادر بن عبد السلام بن عبد الوهاب الشاذلي، نزيل الاسكندرية، ولد سنة1223هـ، وحفظ القرآن بزاوية الشيخ وبها درس العلوم، وله اتصالات بعلماء مشاهير مثل: محمد حسن ظافر المدني، وشيخ المالكي بمصر مصطفى الكبابطي، توفي سنة1207هـ(47).
2. العلامة محمد بن أحمد الورفلي القط، درّس بالأسمرية من سنة 1318 وحتى سنة 1328هـ.
3. الشيخ سالم بن محمد علي التومي المسلاتي، ولد بمسلاته سنة1299هـ، ودرس بالأسمرية على الشيخ القط الورفلي.

(47) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية551/1، وأعلام ليبيا ص159-160.

المرحلة الثالثة: 1356هـ 1937م. [واستمر هذا النظام مدة عشر سنوات تقريبا].

وفي هذه السنة استحدث نظام جديد، استمدت مقوماته من الأنظمة التعليمية المعمول بها في جامع الزيتونة بتونس، وقام بهذا الاستحداث العلامة منصور أبو زبيدة الذي تخرج في الزيتونة وعايش النظم الحديثة به.

مكونات نظام الزيتونة:

1. جعل دفتر لكل طالب يسمى (دفتر شهادات التلامذة)، يحتوي 100 صفحة، في كل صفحة ثلاث جداول:
الجدول الأول: يوضع به اسم الكتاب المقروء.
والثاني: يوضع به اسم الشيخ المدرس بخطه.
والثالث: يوضع به شهادة الشيخ لتلميذه صاحب الدفتر، ومقدار ما حضره من الكتاب.
2. في نهاية كل عام يجري امتحان لجميع الطلاب للانتقال من كتاب إلى ما فوقه من العلوم المعينة له.

3. تشكل لجنة من الأساتذة لإجراء الامتحان.
4. تجتمع اللجنة كل مساء، وينفرد كل أستاذ بطالب، يلقي عليه أسئلة في العلوم التي درسها في تلك السنة.
5. عند اكتمال الامتحان يكتبون له في دفتر شهادات دروسه ما تبين من أهليته بالتقدم أو بالاستمرار على دروس سنته أو بالتراجع عن مرتبته إلى التي دونها.
6. إذا أتم الطالب تعليمه على هذا النحو حق له الاشتراك في الامتحان النهائي، فيسجل اسمه في قائمة الممتحنين.
7. يمثل أمام لجنة تمهيدية تتحقق من دفتر شهاداته، وتجري له اختبارا تمهيدا.
8. تختار هذه اللجنة من دفتر شهاداته كتابا من الكتب التي درسها.
9. تكلف اللجنة الطالب بإلقاء درس من الكتاب في موضوع يعين له، ويلقى هذا الدرس أمام اللجنة، وتترك له مدة 30 دقيقة لتحضيره.

10. إن أجاد سمح له بالاشتراك في الامتحان النهائي، والا استبعد إلى امتحان آخر. استمر هذا النظام قرابة عشر سنوات[48].

بعض الأساتذة في هذه الحقبة:

1. الشيخ أحمد المحجوب.
2. الشيخ منصور أبو زبيدة.
3. الشيخ رحومة الصاري.
4. الشيخ أحمد المبسوط.
5. الشيخ عمران العلوص.
6. الشيخ محمد السليني.
7. الشيخ سليمان الزوبي.
8. الشيخ المهدي أبو شعالة.

بعض الطلاب الذين درسوا في هذه الحقبة[49]:

عبد الله محمد امحمد طليبة الورفلي - أحمد نقيطة - محمد مفتاح قريو -عبد السلام بن رحاب - محمد بن رحاب - عبد الله بن حمودة -علي بن محمد بن سلمى -

---

[48] ينظر: الجامعة الأسمرية أسس وجذور ص480.

[49] ينظر: بعض أعلام الزاوية الأسمرية خلال القرن العشرين ص488.

علي الواعر - عمر غويلة - امحمد جوان -بشير الصاري -الطيب المصراتي- عبد السلام الشخطوري - يوسف الجعراني- مفتاح اللبيدي - علي الهاشمي الفويلي - محمد بالحاج ميلاد - ميلاد الجعراني - إبراهيم كشيد - الطاهر أبو زبيدة.

المرحلة الرابعة: 1366ه 1946م.

وتماشيا مع التطورات المعاصرة والتي تفيدنا أن الزاوية الأسمرية كانت تواكب كل المستجدات العلمية المجاورة لها، لا سيما في أكبر معهدين علميين قريبين منها، ألا وهما الأزهر والزيتونة، لذلك رأى القائمون على الزاوية استبدال هذا النظام بنظام آخر يشبه نظام الأزهر قبل تنظيمه الحديث، وكان القائم على رأس هذا الاستبدال علمين جليلين تخرجا من الأزهر، هما:

العلامة الشيخ فرج بن عبد السلام الفيتوري[50].

العلامة أبو بكر حمير[51].

---

[50] ولد بزليتن، وبزاوية الأسمر حفظ القرآن الكريم وأخذ قسطا من العلوم الشرعية واللغوية، ثم ارتحل للأزهر سنة1343، وتحصل هناك على الشهادة العالمية، ورجع سنة1354هـ، والتحق بأسرة التدريس بزاوية الأسمر، إلى أن توفاه الله سنة1365هـ. ينظر: أعلام ليبيا ص314، والجامعة الأسمرية أسس وجذور ص479.

ويتمثل هذا النظام في الآتي:

1. تحديد السنة الدراسية(تبدأ في غرة شوال وتنتهي في 20 رجب من كل عام).
2. جعل المراحل الدراسية ثلاث مراحل:
   أ. الشهادة الابتدائية. (مدة الدراسة3سنوات).
   ب. الشهادة الأهلية. (مدة الدراسة4سنوات).
   ت. الشهادة العالمية. (مدة الدراسة4سنوات).
3. امتحانات نهائية في نهاية كل سنة، وتكون:
   أ. شفوية وتحريرية.
   ب. دور أول. يعقد في 11 شعبان من كل عام.
   ت. دور ثان. يعقد في غرة شوال.
   ث. كل طالب تتجاوز نسبة غيابه في أي مادة من المواد25٪ لا يحق له الدخول في الامتحانات.

---

(51) ولد بزليتن سنة1331هـ، وبها حفظ القرآن الكريم، ثم ارتحل للأزهر سنة1932، وتحصل على أعلى الشهادات هناك، ولما رجع التحق بالأسمري وأصبح احد المشرفين على النظام التعليمي به، ومن انتقل للجامعات والمعاهد المختلفة معلما موجهان إلى أن توفي سنة1988م. ينظر: الجامعة الأسمرية أسس وجذور ص480.

ظل هذا النظام حتى منتصف الخمسينات[52].

ومن الكتب التي كانت تدرّس في المرحلة الثالثة والرابعة إضافة إلى ما سبق في المرحلة الثانية[53]:

الفقه وأصوله:

1. الفروق للقرافي ت684هـ.
2. تحفة الحكام تحفة الحكام، في نكت العقود والأحكام، تأليف: محمد بن محمد بن عاصم المالكي، ت829هـ.
3. لب الأصول، لزكريا الأنصاري ت926ه.
4. الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين، لمحمد ميارة ت1072ه.
5. شرح مختصر خليل للشبرخيتي ت1106هـ.
6. حاشية الصفتي ت1193ه. (حاشية على الجواهر الزكية في حل ألفاظ العشماوية لابن تركي ت979هـ).

---

(52) ينظر: الجامعة الأسمرية أسس وجذور ص481.

(53) ينظر: بعض أعلام الزاوية الأسمرية خلال القرن العشرين ص447.

7. أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، للدردير ت1201هـ.
8. شرح التاودي ت1209هـ على تحفة الحكام لابن عاصم .

اللغة العربية:

1. تصريف العزي، تأليف: عز الدين إبراهيم الزنجاني ت655ه.
2. لامية الأفعال لابن مالك ت672هـ.
3. شرح الأشموني على الألفية ت 900هـ تقريبا.
4. شرح خالد الأزهري ت905ه على متن الآجرومية.
5. العشماوي على الآجرومية.
6. حاشية أبي النجا على شرح خالد على الآجرومية.

الحديث الشريف:

1. الأربعين النووية وشرحها، للإمام النووي ت676ه.
2. الجامع الصغير للسيوطي ت911ه.

المنطق:

1. ايساغوجي في المنطق للأبهري ت700 ه تقريبا.
2. رسالة في علم الوضع لعضد الدين الإيجي ت756هـ.
3. السلم في المنطق للأخضري ت983هـ.
4. شرح الملوي في المنطق ت1181هـ.

البلاغة:

1. شرح السعد في البلاغة ت793هـ (شرح تلخيص المفتاح تلخيص المفتاح، في المعاني والبيان للقزويني ت739هـ).
2. الرسالة السمرقندية في علم البيان، للسمرقندي ت بعد 888هـ.
3. الجوهر المكنون للأخضري ت 983هـ.
4. رسالة الدردير في علم البيان (تحفة الإخوان في علم البيان)، ت1201هـ.

العقيدة:

1. العقائد النسفية للنسفي ت537هـ.
2. الجوهرة للقاني ت 1041هـ.
3. الخريدة للدردير ت1201هـ.
4. عقيدة العوام للمرزوقي ت1281هـ.

التفسير:

1. تفسير القرطبي ت668ه (جامع أحكام القرآن).
2. تفسير الجلالين للمحلي ت864هـ، والسيوطي ت911ه.

الميراث:

1. شرح سبط المارديني على الرحبية ت912هـ.
2. التحفة الخيرية حاشية على الشنشورية في الفرائض، للباجوري ت1277هـ.

المتون:

قرر على الطلاب في تلك الفترة حفظ كتاب طبع باسم (مجمع المتون)، وفيه المتون العلمية للدروس التي كانت تدرّس، وأوجب الأساتذة على الطلاب حفظها جميعا.

بعض العلماء والأساتذة والمشاهير الذين درّسوا في هذه الحقبة[54]:

1. الشيخ منصور أبو زبيدة.
2. الشيخ أبو بكر حمير.
3. الشيخ مفتاح اللبيدي.
4. الشيخ الطيب عثمان المصراتي.
5. الشيخ امحمد مختار جوان.
6. الشيخ محمد بن حسين القماطي.
7. الشيخ محمد بن حسين القماطي (الصغير).
8. الشيخ محمد أبو رخيص.
9. الشيخ شكري النعاس. قاضي زليتن آنذاك.
10. الشيخ بشير عبد الله الصاري.
11. الشيخ سليمان الزوبي.
12. الشيخ أحمد المبسوط.
13. الشيخ فرج حرير الفيتوري.
14. الشيخ عبد الله احمودة.
15. الشيخ علي الهاشمي الغويلي.

---

[54] ينظر: الأثر العلمي للمنارة الأسمرية، الأستاذ الدكتور عمر التومي الشيباني نموذجا ص130، وبعض أعلام الزاوية الأسمرية خلال القرن العشرين ص447 وما بعدها.

16.الشيخ الهادي عرفة.

17.الشيخ أحمد الصاري.

بعض الطلاب في هذه الفترة:

الأستاذ الدكتور عمر التومي الشيباني. درس من 1945 وحتى 1950، درس فيها لمدة ثلاث سنوات الثانوية الأهلية، ثم درّس فيها لمدة سنتين. ويعتبر الدكتور من المميزين والمتألقين، ولذلك اختير شخصية للمؤتمر العلمي الدولي حول الزاوية الأسمرية المقام سنة2008 بزليتن، وهو المشرف على رسالة الماجستير للأستاذ الباحث: رحومة حسين بوكرحومة، والتي بعنوان: الزاوية الأسمرية العلمية بزليتن ودورها التربوي في ليبيا من 1935 إلى 1957 .

والشيخ مخزوم مفتاح محمد الشحومي - الشيخ مصطفى عبد السلام التريكي- محمد سالم الشويرف - أحمد ميلاد قدور - الهادي جحا المسلاتي - محمد بن رحاب - عبد الجواد العلوص - حسن الزوبي - محمد عبد النبي- علي السائح - معمر القماطي - علي خلف الله - عبد الله التاجوري - امحمد الصاري - محمد

مسعود الفرجاني - عبد الحميد الترهوني - حسن علوان الزاوي - عمران أبو بكر الترهوني - علي حسن القماطي - فتحي عليوان - إبراهيم العيان - حسن العربي - محمد المدني الشويرف -عثمان العلوص - علي العلوص - أحمد كامل الزنتاني - عمران الهادي بن رابعة -عبد الله السميعي.

المرحلة الخامسة: 1955م وحتى 1957م.

وبعد تخرج أحد طلاب هذه الزاوية من الأزهر ، رجع بأفكار مميزة، وعرضها على المسؤولين في الزاوية الأسمرية لأجل تطبيقها، واستقر الرأي على تعديل النظام التعليمي حسب ما هو موجود بالأزهر الشريف بعد التنظيم والإصلاح، وبذلك أصبحت المراحل الدراسية بالزاوية كالآتي:

أ. الشهادة الابتدائية. (مدة الدراسة4سنوات).
ب. الشهادة الثانوية. (مدة الدراسة5سنوات).
ت. الشهادة العالمية. (مدة الدراسة4سنوات).

كما أضيفت مناهج جديدة، مثل: مبادئ العلوم والصحة – الحساب – الهندسة – الرسم – الجغرافيا – التاريخ - [55].

كما أضيفت بعض الأشياء الحديثة آنذاك مثل السبورة ومتعلقاتها.

وكان رائد التجديد في هذا العهد هو الشيخ امحمد مختار جوان [56]، الذي عيّن على إثر عودته من مصر مدرسا بالزاوية ومدير التعليم بها.

---

(55) ينظر: بعض أعلام الزاوية الأسمرية خلال القرن العشرين ص452.

(56) ولد بزليتن سنة1333هـ، 1915م حفظ القرآن الكريم بالزاوية المدنية، ثم انتقل إلى الزاوية الأسمرية وتحصل فيها على الشهادة العالمية، ورحل إلى الأزهر ودرس به حتى تحصل على الماجستير، رجع إلى زليتن، والتحق بالأسمري مدرسا ومديرا للتعليم به، وتولى مناصب كثيرة، توفي سنة1998م. ينظر: الجامعة الأسمرية أسس وجذور ص481.

المرحلة السادسة: من 1957 وحتى 1986م. (المعهد الأسمري الفرعي زليطن).

وتعتبر هذه الفترة مهمة ، لا سيما وفيها فترة المملكة الليبية، والجمهورية الليبية، ولم يتغير شيء في المواد العلمية، وإنما التبعية فقط، وكانت التغيرات كالآتي:

1. في عهد الملك إدريس السنوسي تابعة لجامعة السيد محمد بن علي السنوسي.
2. في عهد الجمهورية العربية الليبية تابعة لوزارة التربية والإرشاد القومي، الإدارة العامة لشؤون المعاهد الدينية.
3. في سنة1973 تابعة لوزارة التعليم والتربية، الإدارة العامة للامتحانات.
4. من هذه السنة 1973م ألغيت الابتدائية الدينية واستبدل بدلها معهد القراءات.
5. صدر قرار بإنشاء فصل لمعهد القراءات بتاريخ1973/11/6.
6. وصدر قرار آخر في نفس الوقت بإنشاء المدارس القرآنية.

7. لم يعد هناك وجود للامتحانات الشفوية.
8. وفي سنة 1986 ألغى نظام معمر القذافي المعاهد الدينية جميعا، وشن حربا شعواء على الدين وحملته، وبذلك دخلت ليبيا في ليل دامس جر لليبيا الويلات من التشدد والتطرف وغير ذلك مما تجنى ثمراته اليوم.

تاريخ ضم الزاوية الأسمرية لجامعة السيد محمد بن علي السنوسي:

افتتح معهد السيد محمد بن علي السنوسي يوم الأحد 12 ربيع الأول1372هـ، 30 نوفمبر1952م ، على يد الملك إدريس السنوسي، وفي عام 1956 صدر قرار يخول له فتح فروع في الولايات الثلاث.

وفي يناير 1957م ضم إلى إدارته معهد سيدي عبد السلام الأسمر بزليتن[57].

(57) ينظر: قصة الأدب في ليبيا العربية ص222.

وأخذ هذه التسمية: (المعهد الأسمري الفرعي زليطن).

وبذلك دخل المعهد الأسمري في طور جديد يتسم بطابع المعاهد الدينية التابعة لجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية من حيث المناهج والإدارة.

وبفضل رعاية المسؤولين تمت به المنشآت المدرسية الحديثة، وألحق به قسم داخلي، ينعم فيه الطلاب بمزايا كثيرة.

والمعهد الأسمري يتكون من ثلاثة أقسام: ابتدائي – وإعدادي – وثانوي، وبه مدرسة للقرآن الكريم، وأصبح له نشاط عام ناجح تحدثت عنه الصحف.

ويتمثل في :

1. مجالات الثقافة والاجتماع والرياضة والكشافة.
2. يقوم الطلاب بتحرير صحيفة حائطية نصف شهرية مزودة بالرسوم والصور، وأخرى شهرية تبرز نشاطهم وتنمي هواياتهم.

3. كان بالمعهد فريق تمثيل يعتبر الأول من نوعه بالمعاهد الدينية، ومسرحياته تدور حوادثها حول الشخصيات الدينية والمعاني الإسلامية، يتخللها الترويح البريء[58].

المواد الدراسية لشهادة الدراسة الابتدائية:

الفقه – التوحيد – السيرة – النحو – الصرف – الإنشاء – الإملاء – الخط – الرياضيات – العلوم العامة والصحة – التاريخ – الجغرافيا – التربية الوطنية – الرسم – المطالعة والمحفوظات – استذكار القرآن الكريم – تربية بدنية.

كما كانت تدرس في سنوات النقل مادة: (الأخلاق)، و(التجويد شفوي)، و(الحساب والهندسة).

وقد ألغيت سنة1972 كل من:[المطالعة والمحفوظات – التربية البدنية].

المواد الدراسية لشهادة الدراسة الإعدادية:

(58) ينظر: قصة الأدب في ليبيا العربية ص226-227.

الفقه (شفوي وتحريري) – التفسير – الحديث – النحو (شفوي وتحريري)– الصرف – البلاغة – الأدب - الإنشاء – العروض والقافية - العلوم العامة والصحة – التاريخ – الجغرافيا – الرسم – اللغة الإنجليزية - المطالعة والمحفوظات (شفوي) – استذكار القرآن الكريم (شفوي) – تربية بدنية.

كما كانت تدرس في سنوات النقل مادة: (السيرة)، و(التوحيد)، و(الإملاء)، و(الرياضيات)، و(التربية الوطنية)، و(الرسم)، و(القراءات)، و(الحديث والمصطلح)، و(العلوم العامة)، و(المنطق).

وفي سنة 1975 أضيفت مادة(خطة التنمية).

المواد الدراسية لشهادة الدراسة الإعدادية (الطلبة المكفوفين):

الفقه – التفسير – الحديث – القراءات – النحو – الصرف – البلاغة – الإنشاء – الأدب – العروض

والقافية – التاريخ – الجغرافيا – اللغة الإنجليزية – المحفوظات – استذكار القرآن الكريم.

المواد الدراسية لشهادة الدراسة الثانوية:

الفقه (شفوي وتحريري) – التفسير – الحديث – النحو (شفوي وتحريري)– الصرف – البلاغة – الأدب - المنطق – التاريخ –اللغة الإنجليزية - المطالعة والمحفوظات (شفوي) – استذكار القرآن الكريم (شفوي) – تربية بدنية.

كما كانت تدرس في سنوات النقل مادة: (الإنشاء)، و(الطبيعة) و(الكيمياء) و(علم الحياة)، و(تفسير شفوي)، و(التوحيد)، و(المجتمع الليبي)، و(أصول الفقه)، و(السيرة)، و(التوحيد)، و(الإملاء)، و(الرياضيات)، و(التربية الوطنية)، و(الرسم)، و(القراءات)، و(الحديث والمصطلح)، و(العلوم العامة)، و(تاريخ التشريع) و(العروض).

وفي السنة الأولى الثانوية سنة1977 قررت مادة(التاريخ والمجتمع).

المواد الدراسية لشهادة الدراسة الثانوية (الطلبة المكفوفين):

الفقه – التفسير – الحديث – التوحيد - القراءات – النحو – الصرف – البلاغة – الإنشاء – الأدب – المنطق وآداب البحث – التاريخ –اللغة الإنجليزية – المحفوظات – استذكار القرآن الكريم.

المرحلة السابعة : 1995 – 2012 (الجامعة الأسمرية) [59].

وتقديرا للدور الذي قامت به زاوية الشيخ الأسمر الفيتوري طيلة أكثر من أربعة قرون، وامتدادا لما قامت به، ومواكبة للتطور، وبفضل بعض البطانة الصالحة، وُضعت اللبنة الأولى لـ الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، وكذا الثانويات الشرعيات المغذية لهذه الجامعة، والتي نُشرت شرقا وغربا، وصلت إلى 25 ثانوية شرعية تقريبا، ومنها: "ثانوية الأسمري للعلوم الشرعية" والتي بدأت سنة1995 وأغلقها من لا يحب الإسلام وأهله سنة2008م.

تمنح الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية درجة الإجازة الجامعية الأولية (الليسانس)، وهي تزاوج بين النظام الفصلي (في كلية الشريعة) والنظام السنوي

---

(59) ينظر: موقع الجامعة الأسمرية على شبكة المعلومات الدولية http://www.asmarya.edu.ly/ ، ومجلة الجامعة الأسمرية العدد3، ص541.

وتتوزع الدراسة فيه على أربع سنوات أو فصول[60] ، في أحد التخصصات الآتية :

1. الشريعة الإسلامية والقانون، وبها قسمان:
قسم الشريعة.
قسم القانون.
2. أصول الدين، وبها قسمان:
قسم العقيدة والفكر الإسلامي.
قسم التفسير والحديث.
3. اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وبها قسمان:
قسم الدراسات اللغوية.
قسم الدراسات الأدبية.
قسم الحضارة والتاريخ.
قسم الدراسات العربية.
قسم الدراسات الإسلامية.
4. الدعوة والإمامة والخطابة، وبها قسمان:

---

(60) هذا في أول افتتاحها، أما الآن فجميع الكليات تسير بالنهج السنوي ما عدا كلية الشريعة والقانون فنهجها فصلي.

قسم الدعوة.

قسم الإمامة والخطابة.

وللجامعة الأسمرية اليوم فروع في مدن أخرى كالآتي:

5. كلية الشريعة (مسلاته).
6. كلية الدراسات الإسلامية (سبها).
7. كلية الدراسات الإسلامية (البيضاء).

الأقسام العلمية بالكلية (البيضاء) :

أولاً : قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية ، ويتشعب إلى شعبتين :

1 / شعبة الاقتصاد الإسلامي .

2 / شعبة المصارف الإسلامية .

ثانياً : قسم الشريعة والقانون و يتشعب إلى شعبتين :

1 / شعبة الشريعة .

2/ شعبة الشريعة والقانون .

ثالثاً : قسم أصول الدين و يتشعب إلى شعبتين :

1/ شعبة التفسير والحديث .

2 / شعبة العقيدة والفكر.

رابعا : قسم اللغة العربية و يتشعب إلى شعبتين :

1 / شعبة اللغة العربية للناطقين بها

2 / شعبة اللغة العربية لغير الناطقين بها (قيد الإنشاء) .

يضاف إلى ذلك مركز اللغات الأجنبية بالتعاون مع المركز الثقافي البريطاني.

ويبلغ إجمالي عدد الطلاب في مرحلة الإجازة الجامعية للعام الدراسي (2003-2004) 1117 طالبا منهم 336 طالبة وفي مرحلة الإجازة العليا (الماجستير) 39 طالبا.

عدد الذين ناقشوا الماجستير بالجامعة85 طالب تقريبا حتى كتابة هذه الأسطر.

وللجامعة علاقات توأمة مع عدة جامعات منها:

1. جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان. 2004م.
2. جامعة الأزهر الشريف. 2008م.
3. جامعة الامير عبد القادر الجزائري.

كما أن الجامعة الأسمرية انضمت إلى اتحاد جامعات العالم الإسلامي سنة2008م.

وقام بزيارتها الحديد من العلماء والأدباء والشعراء من داخل ليبيا وخارجها.

كما عقدت عدة ندوات دولية، منها:

1. الإسلام ينبذ التطرف. 2003.
2. المرأة بين مقتضيات التشريع وتحديات العصر. 2004.
3. الطرق الصوفية في أفريقيا حاضرها ومستقبلها. 2005.
4. المنارة الأسمرية من الزاوية إلى الجامعة. 2008.
5. المؤتمر العلمي الدولي للمصالحة الوطنية. 2012.

كما طبعت الجامعة كتابا في200 صفحة فيه مفردات المنهج والأهداف الخاصة لكل مادة المتعلقة بكل كليات الجامعة.

وما هنا يقف بنا المطاف بعد جولة أخذت بالأنفاس، وفتح لأجلها كل قرطاس، وما رأيناه ما هو إلا ثمرات قليلات من جهد أناس لم يرضوا من الحياة إلا باستثمارها كما يحب ربنا ويرضى.

المبحث الثاني: نتاجات الزاوية الأسمرية، والعلماء الذين اتصلوا بها عطاء وتلقيا:

وفي هذا المبحث يكمن دورها الثقافي والعلمي في تكوينها للطبقات العلمية المثقفة والمميزة والتي كان لها دور علمي وثقافي كبير في البلاد، أضف إلى ذلك ما يقوم به مشايخ وأعيان الزاوية الأسمرية في الإصلاح بين الناس، والإرشاد الديني والتوعوي الثقافي والذين يكون صورة مميزة اجتماعيا في أذهان الناس وانطباعاتهم عن الأشياخ الذين لهم علاقة بالزاوية الأسمرية خصوصا وعموما.

وهذا ليس بغريب فقد ضمت الزاوية بعد تأسيسها بسنوات قليلة مجموعة من الكتب القيمة هي نواتها، وقد قدر كتب هذه المجموعة عام995هـ بـــ 500 مجلد من المخطوطات، وهو آت من الوقف الخيري،

ولهذا الرقم حسابه في تلك الفترة في هذد المنطقة لصعوبة جلب الكتب والحصول عليها [61].

أضف إلى ذلك الدور الجهادي الذي قامت به الزاوية متمثلة في مسؤولي الوقف والتعليم فيها، والمشايخ والعلماء والطلاب والخريجين، والأمثلة في ذلك كثيرة:

أ- نذكر منها تلك الشهادة التي تحتفظ بها الزاوية الأسمرية بخط السيد علي بن الأمير عبد القادر الجزائري، ومفادها شهاد شكر وتقدير للزاوية الأسمرية لقاء ما قدمته للمجاهدين في الجزائر وفي ليبيا.

ب- أصدر علماء معهد أحمد باشا الديني بيانا مفاده: مقاطعة فرنسا واجبة والتعامل معها حرام، نظرا لما تقوم به فرنسا من حرب ضروس تجاه الإخوة في الجزائر، صدر هذا البيان في حدود سنة1961م، ووجه هذا البيان لليبيين خصوصا وللمسلمين في كل مكان حكومات

---

(61) ينظر: التعليم الديني (التعليم الأهلي) خلال الفترة من (1835 – 1950) والتغيرات التي طرأت عليه. ص576.

وشعوبا، واعتبروا ذلك جهاد واجبا في سبيل الله، وكان من ضمن الموقعين على هذا البيان [62]:

1. سليمان الزوبي. رئيس معهد أحمد باشا.
2. إبراهيم عبد الله ارفيدة. مدرس بمعهد أحمد باشا.
3. الطيب طاهر المصراتي. مدرس بمعهد أحمد باشا.
4. خليل علي المزوغي. مدرس بمعهد أحمد باشا.
5. الطاهر أبو زبيدة. مدرس بمعهد أحمد باشا.
6. عبد السلام محمد خليل. مدرس بمعهد أحمد باشا.
7. المهدي أبو شعالة. مدرس بمعهد أحمد باشا.
8. علي الشويطر. مدرس بمعهد أحمد باشا.

وهؤلاء جميعا إما درسوا أو درّسوا في الزاوية الأسمرية، أو هم من نسل الشيخ عبد السلام الأسمر.

[62] ينظر: نبالة المواقف الليبية في الثورة الجزائرية ص120.

ج- كما ساهم المعهد الأسمري بمبلغ قدره((155.400)) مائة وخمسة وخمسين ألف وأربعمائة جنيه ليبي، نصرة لأخوتهم في الجزائر، وذلك في إحدى حملات الهلال الأحمر الذي تجول في المناطق الليبية لجمع التبرعات، سنة1959م[63].

ولذلك أحد المؤرخين متحدثا عن المعهد الأسمري:" وكان لعلمائه وطلابه مواقف وطنية تتسم بالجرأة والفداء، حين صمدوا للغزو الإيطالي، وقاوموا فرض الجنسية الإيطالية على الوطنيين، وتعرض هذا المعهد أثناء الغزو الإيطالي للتخريب، فانتهك الإيطاليون قدسيته وحرقوا مكتبته، واضطهدوا علمائه، ولكنه استمر في أداء مهمته الدينية والوطنية، ولم يفلح الإيطاليون في تغيير برامجه ومناهجه لصمود أهله وعلمائه"[64].

---

(63) ينظر: نبالة المواقف الليبية في الثورة الجزائرية ص50-51.

(64) ينظر: قصة الأدب في ليبيا العربية ص226-227.

ومن الأمثلة الجهادية بالقلم: قصة الطالب الشاعر خالد زغبية، طالب بكلية اللغة العربية سنة ثانية1858م، ألقى قصيدة أسماها: (الراهب والشيطان)، ونشرها في صحيفة العمل بنغازي، هجى فيها علماء الشريعة، ورَدّ عليه بقصيدة تهاجم فكرته الدكتور عبد المولى البغدادي الطالب آنذاك بمعهد أحمد باشا، وهو من الطلاب الأسمريين، وسانده غيره من الشعراء والعلماء[65].

وقد كان لطلاب وأساتذة الزاوية الأسمرية قدم السبق في التصدر لخدمة الإسلام إضافة إلى ما سبق؛ فلو ذكرنا الجامعة السنوسية وتأسيسها، لرأينا أن لشيوخ الأسمرية دور مهم في بنائها، مثل: وكيل شيخ الجامعة العلامة سليمان الزوبي، والوكيل الثاني فضيلة الشيخ محمد جوان[66].

---

(65) ينظر: من تاريخ الجامعة الليبية ص52.

(66) ينظر: قصة الأدب في ليبيا العربية ص230.

ولما أنشئت الكليات الثلاث: الشريعة – أصول الدين – اللغة العربية؛ تولى عمادتها الأسمريون، فالأولى: الشيخ محمد جوان، والثانية: الشيخ مصطفى التريكي، والثالثة: الشيخ إبراهيم ارفيدة.

ولما أنشئت مجلة اسلامية تنطق باسم الجامعة (مجلة الهدى الإسلامي) أشرف عليها الأستاذ الشيخ مصطفى التريكي، وقد صدر العدد الأول منها 1 رجب1381هـ، ديسمبر1961م [67].

---

(67) ينظر: قصة الأدب في ليبيا العربية ص230-231.

بعض تراجم الأسمريين:

بلغ عدد تلاميذ المدرسة الأسمرية وشيوخها روحها وجسدا:(50 عَلَمًا) من مجموع كتاب أعلام ليبيا للشيخ الطاهر الزاوي[68]، منهم: المجاهدون، والفقهاء، والمفتون، والقضاة، والمحدثون، والشعراء، والأساتذة، وأهل التربية والتزكية.

وهنا تجد بعض العلماء التي قطفوا من ثمرات الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري ومدرسته الكبرى، وهم من مدن وأماكن متعددة، ويتنوعون بين طالب درس في الزاوية الأسمرية، وآخر كان مدرّسا بها، وثالث ارتبط بها عن طريق الطريقة العروسية السلامية، وقد رتبت أسمائهم حسب الترتيب الأبجدي – رضي الله عن الجميع - آمين:

1. إبراهيم عبد الله ارفيدة، ولد بمصراته1340هـالموافق1931م، تعلم القرءن الكريم في زاويا مصراته ومساجدها، ثم التحق

---

[68] ينظر: أعلام ليبيا ص49. وما بعدها.

بمعهد احمد باشا فتلقى العلوم على كبار العلماء آنذاك، ثم رحل إلى مصر فالتحق بالأزهر، وتخرج في كلية اللغة العربية سنة1958، وتحصل على الماجستير والدكتوراه من الأزهر أيضا. عين مدرس بمعهد احمد باشا، ثم مدير بالمعهد الأسمري بزليطن، ثم عميدا لكلية اللغة العربية بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي عام1962 حتى 1974، ثم عميدا لكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالجامعة الليبية [69]، له مساهمات ومشاركات عديدة، وله مؤلفات منها: أصالة اللغة العربية وعلومها. توفي1999/02/13م [70].

2. أبو بكر الشوكي، انتقل بعد حفظ القرآن الكريم إلى المعهد الأسمري وأخذ عن شيوخه، ثم تولى الإمامة في بعض المساجد، والخطابة بمسجد الزروق[71].

---

(69)ينظر: من تاريخ الجامعة الليبية ص72.

(70) ينظر: مصراته معالم وملامح ص145.

(71). ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/297.

3. أحمد أبو بكر الشريف، ولد سنة 1901 ببلدة ساحل الأحامد بمدينة الخمس، حفظ القران بزاوية عمر بن عثمان بالساحل، ثم شد الرحال لطلب العلم بزاوية عبد الواحد الدوكالي، وشارك في الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي، ثم توجه الى زاوية الشيخ الأسمر حيث درس العلم وأشرف على تحفيظ القرآن، واستقر به المقام بعد ذلك بطرابلس، حيث أتم دراسته الفقهية بمدرسة ميزران، وتحصل منها سنة1926 على شهادة دراسية، واختير إماما للمصلين بجامع ميزران، توفي 1999/7/11م[72].

4. أحمد بن عبد الوهاب بن عبد العالي، بدأ تعلم القرآن الكريم بقريته، ثم انتقل إلى زاوية الزروق، وبها حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، وأخذ عن علمائها، ومنهم: أحمد المبسوط، ومنصور أبو زبيدة، وعبد الله اطليبة، ثم اشتغل بالتعليم مدة طويلة مدرّسا، ثم مديرا لإحدى المدارس، وتولى

(72) ينظر: مجلة ميزران الماضي والحاضر ص156.

خطابة مسجد ابن عبدون وكذا تدريس القرآن الكريم به، وكان حيا سنة 2001م [73].

5. أحمد بن عمر الهجينة المجبري، ولد في بنغازي عام 1969م، تحصل على البكالوريوس في المحاسبة من كلية الاقتصاد بجامعة قاريونس عام1992، ثم بوصية من شيخه في الطريقة العروسية الشاذلية الشيخ صالح العبار - حفظه الله - توجه لطلب العلوم الشرعية، فسافر الشام وتحصل على الثانوية الشرعية للدعوة والإرشاد من المعهد الشرعي في دمشق عام1994م، وتحصل على درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية من كلية أصول الدين من جامعة أم درمان الإسلامية بفرعها بدمشق في العام 1998م، ثم على الماجستير عام 2003 بتقدير ممتاز، وأوفد للدكتوراه ولكن مشاغل الدعوة أعاقت ذلك، وقد شغل عدة مناصب لتميزه ونشاطه إضافة إلى تدريسه في الثانويات والجامعات والمساجد، منها:

---

(73) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/74.

1. رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم اجدابيا.
2. رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم سلوق.
3. عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب الحقورية.
4. رئيس شعبة أصول الدين في المعهد العالي للعلوم الشرعية بالبيضاء.
5. رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية المعلمين اجدابيا.
6. عضو هيئة تدريس بقسم القانون بجامعة قاريونس فرع اجدابيا.
7. منسق مكتب ضمان الجودة العلمية بكلية المعلمين التابعة لجامعة قاريونس فرع اجدابيا.
8. أشرف على عدة بحوث للتخرج، وأجرى معادلات علمية.
9. كلفه مكتب الهيئة العامة للأوقاف ببنغازي بإجراء الامتحانات وإدارة دورة تأهيلية للأئمة والخطباء التابعين للهيئة.
10. عضو لجنة الفتوى بأوقاف بنغازي .

11. شارك في الإعداد والتقديم لعدد من البرامج الإذاعية.
12. عمل مدرسا للعلوم الشرعية بالمدرسة القرآنية لمسجد الأرقم بن أبي الأرقم ببنغازي.
13. أستاذ العلوم الإسلامية بمنارة سيدي اعبيد الثانوية للعلوم الشرعية.

من شيوخه: الشيخ أسامة عبد الكريم الرفاعي، والدكتور العالم مصطفى سعيد الخن، والدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور محمد الزحيلي؛ والشيخ أحمد كفتارو، والدكتور محمد سعيد البوطي.

من تآليفه:

1. تحقيق الجزء الأول من الشرح الكبير على مختصر خليل لبهرام الدميري.
2. أهم مشاكل الداعية في العصر الحديث.
3. سدّ الذرائع في الشريعة الإسلامية.
4. المسجد بين ما يريده الإسلام وبين واقعه المعاصر.

توفي في الحج عام 1432هـ ودفن هناك، رحمه الله تعالى [74].

6. البخاري بن أحمد الزروق بن مَحمد الحضيري، ولد بغدامس 1914م، من الفقهاء الدعاة، له إجازتين، إحداهما في الطريقة العروسية تلقاها سنة 1375هـ، عن الشيخ يونس بن الحاج حافظ الدرجي، والثانية طيبية تلقاها سنة 1330هـ، عن الشيخ بشير الغدامسي، رجع إلى الجديد وأسس زاوية بها ينشر العلم والأحكام الفقهية ويجمع الناس للذكر، توفي سنة2001م [75].
7. حامد بن السعيد بن حامد الحضيري، ولد بسبها (الجديد) سنة 1286هـ، حفظ القرآن الكريم ببلده، ثم انتقل إلى الشمال، فلزم زاوية الشيخ

---

(74) هذه الترجمة نُشرت على صفحات الانترنت، والمترجم له أحد الأصدقاء والزملاء والإخوة جمعتنا أيام دارستي بدمشق، وكان حينها في مرحلة الماجستير، جزاه الله عنا كل خير، وجمعنا جميعا في الفردوس آمين.

(75) ينظر: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان ص263-264.

عبد السلام الأسمر، فأخذ عن مشايخها القرآن الكريم وأحكامه، والفقه الإسلامي واللغة العربية والاحكام الشرعية، ثم رجع إلى بلده داعيا إلى الله. تنقل في مناطق الجنوب إماما ومدرسا للقرآن الكريم وعلومه والأحكام الفقهية، توفي سنة1362هـ، بمدينة سبها، وترك منظومات كثيرة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[76].

8. سالم بن محمد علي التومي المسلاتي، ولد بمسلاته سنة1299هـ، ودرس القرآن الكريم بها، ثم انتقل إلى زليتن فأتم حفظ القرآن الكريم، وواصل تعليمه للعلوم اللغوية والشرعية بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ومن شيوخه هناك: محمد القط الورفلي، وبقي بالزاوية الأسمرية من سنة1900 وحتى 1909من ثم رجع إلى بلدته، وتولى عدة وظائف منها: كاتب بالمحكمة الشرعية، وقاضي بالمحكمة الأهلية، توفي سنة1385هـ، 1965م[77].

---

[76] ينظر: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان ص265-266.

[77] ينظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني ص218-219.

9. سليمان بن عبد الله بن صالح الطبولي، من مصراته، حفظ القرآن الكريم بزاوية الزروق، وأخذ عن الشيخ عبد الله سويسي والشيخ محمد قريو، ثم انتقل إلى المعهد الأسمري، ثم إلى كلية أحمد باشا بطرابلس، تولى الإمامة بمساجد مصراته وغيرها[78].

10. الطيب بن عثمان بن طاهر المصراتي، يرجع نسبة إلى السيد فتح الله بن خليفة بن عبد السلام الأسمر الفيتوري، قرأ القرآن الكريم بزاوية جده، ثم أكمله بزاوية البي، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ودرس العلوم الشرعية واللغوية بها، ثم عاد إلى مصراته وعيّن مدرسا بالمعهد المحجوبي، ثم مدرسا بالمعهد الأسمري، من شيوخه بزليتن: الشيخ أحمد المبسوط، والشيخ رحومة الصاري، والشيخ منصور أبو زبيدة، والشيخ فرج الفيتوري، شارك في الحركة الوطنية فكان من أبرز عناصر المؤتمر الوطني، عمل إماما وخطيبا ومدرسا بمسجد

---

(78) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته) 176/2.

أبورقيبة بطرابلس وأسس دار للحديث به، شغل أمانة الوعظ والإرشاد على مستوى ليبيا، له مؤلفات منها: الإسلام عقيدة وسلوك، والرحلة البرقاوية، والرحلة الحجازية، وديوان شعر، توفي سنة1998م[79].

11. العارف بن الصادق بن محمد بن علي زغوان التاجوري الطرابلسي المالكي العروسي الحسني. ولد سنة1918م بزاوية الدهماني، وتوفي سنة1996م، وكانت له زيارات لزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر ولغيرها، وبنى زاوية للطريقة العروسية في منطقة زاوية الدهماني خصصت للذكر والعلم، درَس العلوم الشرعية عن مشايخ كثر منهم: الشيخ محمد الهنشيري وابنه الشيخ المهدي بميزران، ودرس أيضا بمعهد أحمد باشا[80].

12. العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، قاضي تنبكت، وصف في شجرة النور: (الإمام الفقيه الفاضل، العالم العامل، القاضي العادل)، أخذ عن أبيه وعمه، ورحل إلى المشرق، ولقي في

---

(79) ينظر: مصراته معالم وملامح ص206.

(80) ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص305.

طريقه الشيخ عبد السلام الأسمر وأخذ عنه التلقين، وأجازه الناصر اللقاني والتاجوري إجازة عامة، وهو أجاز الشيخ أحمد بابا بمثل ذلك، ولد سنة913هـ، وتوفي سنة 991هـ [81].

13. عبد الرحمن بن محمد البركولي الحضيري، ولد بسبها الجديد، وبها حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى الزيتونة بتونس وبقي فيها مدة، ورجع بإجازات مشايخه، فتولى تدريس الفقه والأحكام الشرعية في الجامع الكبير بالجديد، وتنقل بين البلدان الجنوبية لنشر الدعوة والخير، وكان من المنتسبين للطريقة العروسية، وكان الناس يرجعون إليه في شؤونهم الدينية والاجتماعية، وكانت له مواقف سياسية مشرفة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، توفي سنة1373ه [82].

14. عبد السلام الأسمر بن سالم الحضيري، ولد بسبها الجديد، ولها حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى المعهد الأسمري بزليتن وأخذ عن شيوخه، ثم انتقل إلى بني وليد لتعليم القرآن

---

(81) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 170/2.

(82) ينظر: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان ص270-271.

الكريم، ثم رجع إلى مسقط رأسه وتولى تدريس القرآن الكريم وإمامة الأوقات في الجامع الصغير، وخطابة الجمعة في الجامع العتيق، توفي سنة1970[83].

15. عبد السلام المرابط من بني وليد، حفظ القرآن الكريم بها، وطلب العلم بالزاوية الأسمرية، وحفّظ ببلدته ومصراته وبنغازي[84].

16. عبد السلام بن عثمان بن عز الدين بن عبد الوهاب بن عبد السلام الأسمر، وصفه ابن مخلوف بقوله:(الشيخ الصالح الفاضل العالم العامل)، من شيوخه: علي الفرجاني، وميارة، والزرقاني، وعلي النوري، والشبرخيتي، له: فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم، وتذييل المعيار، وغيرها[85]،

---

(83) ينظر: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان ص271-272.

(84) ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص263.

(85) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 248/2. وقد ورد تصحيف في شجرة النور صححته من مقدمة تذييل المعيار في نسب الشيخ.

واشتهر بـ: عبد السلام العالم التاجوري، ولد بتاجوراء سنة 1058هـ، توفي سنة1158هـ [86].

17. عبد القادر بن عبد السلام بن عبد الوهاب الشاذلي الزليتني، نزيل الاسكندرية، (الشيخ الجليل العارف الواصل الأرضى إمام الحقيقة الأستاذ الكامل) كذا وصفه في شجرة النور الزكية، حفظ القرآن الكريم على الفقيه الشيخ سالم بن محسن ولازمه وقرأ على غيره، وذلك بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد حسن ظافر ولازمه، انتقل إلى الاسكندرية واستوطنها، ومن شيوخه أيضا: مصطفى الكبابطي، ولد سنة1223هـ، وتوفي سنة1297هـ[87].

18. عبد الله الأمين عبد الله النعمي، ولد عام1934 بمنطقة سوق الجمعة طرابلس، حفظ القرآن الكريم على يد والده، ثم طلب العلم بميزران بطرابلس ومن شيوخه هناك: الشيخ علي الغرياني، والشيخ محمود المسلاتي، ثم واصل

---

(86) ينظر: مقدمة لتذييل المعيار1/15-16.

(87) ينظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية2/396.

تعليمه بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، فأخذ العلوم الشرعية واللغوية، ثم انتقل للأزهر الشريف، وتخرج في كلية اللغة العربية قسم التاريخ، ثم رجع إلى طرابلس وتولى عدة وظائف، ثم أوفد للماجستير وتحصل عليها من مصر سنة1973، ثم شهادة الدكتوراه في فلسفة التربية عام1978م، ودرس في جامعات ليبيا المختلفة، مع الإشراف والمناقشة للرسائل العلمية، وتولى إدارة تحرير مجلة الوثائق والمخطوطات بمركز جهاد الليبيين[88].

19. عبد الله بن عمر الحضيري، شيخ الزاوية العروسية بالجديد، ولد بها وقرأ القرآن الكريم وعلوم الشريعة، كان من النساخين المشهورين، توفي بـ(زلة) بعد سنة1248هـ[89].

20. عبد الله طليبة ، ولد ببني وليد، وتعلم بالزاوية الأسمرية، ومن أبرز شيوخه العلامة

---

[88] ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص119.

[89] ينظر: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان ص273.

منصور أبو زبيدة، وتولى التدريس بزاوية المحجوب مصراته، توفي سنة 2000م ببني وليد[90].

21. عبد الله محمد بن عمران بن عبد السلام بن سليم الأسمر وكنيته: أبو راوي، (العلامة الميقاتي، الفاضل القدوة العالم العامل الصوفي المربي) كذا وصفه في شجرة النور، من شيوخه: محمد بن ناصر الدرعي، من تلاميذه: عبد الله بارود، محمد الصغير. له رسائل في الذكر والوعظ، منها: المورد العذب الراوي لرسالة أبي راوي، عدد الأوراق(32)، محفوظة برقم 18432، بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب تونس [91]، توفي بجربة سنة 1088هـ[92].

22. عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الحضيري، ولد بسبها الجديد 1915م، وحفظ القرآن الكريم بها، وكذا علوم الشريعة ومتعلقاتها، سافر الرياينة لتعليم القرآن الكريم، ثم رجع واشتغل

---

[90] ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص276.

[91] ينظر: المخطوطات الليبية المحفوظة في المكتبات التونسية والمغربية ص28.

[92] ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 218/2.

بالتجارة زمنا، ثم تولى إمامة الجامع العتيق تدريسا للقرآن وخطابة، وشيخا للزاوية العروسية، اشتهر بالصراحة وقول الحق، وكان مقدما في الاجتماعات الاجتماعية، توفي سنة 1983م [93].

23. علي بن أحمد بن عثمان الشريف، من قرية الزروق، وبها قرأ القرآن الكريم، واستكمل الحفظ في زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، والتحق بالبيضاء وتخرج في كلية أصول الدين، ورجع إلى مصراته وتولى التدريس وإدارة المدارس، وكان يلقي دروس الوعظ والإرشاد بمسجد الزروق، وتولى أمانة الصحة على مستوى مصراته أكثر من مرة [94].

24. علي بن أحمد بن علي أبو زقية، من قرية الزروق بمصراته، درس بها، ثم انتقل إلى الزاوية الأسمرية وأخذ عن علمائها وعلى رأسهم العلامة منصور أبو زبيدة، ثم انتقل إلى مصر والتحق بدار

---

(93) ينظر: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان ص274.

(94) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته) 188/2.

العلوم وتخرّج فيها، ثم رجع إلى ليبيا ووظّف في بعض أقسام أمانة التربية والتعليم بطرابلس[95].

25. عمر بن محمد التومي الشيباني، ولد بمصراته سنة1930م، حفظ القرآن الكريم بمساجد مصراته ودرس على مشايخها ثم انتقل إلى المعهد الأسمري عام 1946م، فدرس على شيوخه علوما مختلفة، ثم تولى التدريس في المعهد بعد ثلاث سنوات من الدراسة، ثم رحل إلى مصر، والتحق بكلية دار العلوم، وتخرج فيها عام 1955، رجع إلى الوطن وعين مدرسا بمعهد المعلمين بطرابلس، أوفد إلى الولايات المتحدة وتحصل على درجة الماجستير في التربية وعلم النفس عام1959م، وتحصل على الدكتوراه من جامعة جورج واشنطن عام1962، ورجع إلى الوطن ودرّس في كلية الآداب والتربية بنغازي، ثم كلية المعلمين طرابلس، ثم مدير رعاية الشباب، ثم رئيس الجامعة الليبية من1969 إلى 1973م[96]، ثم رئيس

---

(95) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/169.

(96) ينظر: من تاريخ الجامعة الليبية ص48.

جامعة طرابلس، شارك في أكثر من خمسين مؤتمرا وندوة داخل ليبيا وخارجها، له مؤلفات كثيرة منها: الأسس النفسية لرعاية الشباب طبع1968، الرعاية الثقافية للمعاقين طبع1989م[97].

26. عمر حمزالوه، أصله من زليتن، ودرس بتونس، نفاه الطليان إلى جزيرة اوستيكا، وبعد الحرب أنشأ الزاوية العروسية بالمرج، وكان يهرب الذخيرة إلى المجاهدين عن طريق النساء أثناء التحطيب، واشتهر بتحفيظ القرآن الكريم حتى أصبح أشهر معلمي القرآن الكريم بالمرج، وتولى عضو مجلس بلدي بها، توفي سنة1978م[98].

27. عمر سالم البيبي، حفظ القرآن الكريم بزاوية البي عام1954، ثم انتسب لمعهد القويري فحصل على الابتدائية والإعدادية، ثم انتقل إلى المعهد الأسمري بزليتن، فحصل على الشهادة الثانوية، ثم التحق بكلية أصول الدين بالبيضاء، وتخرج فيها سنة1968م، وعين مدرسا بالجغبوب، والتحق

---

(97) ينظر: مصراته معالم وملامح ص274.

(98) ينظر: مدينة وراء الأفق، الحياة والمجتمع في المرج القديم ص136.

بالدراسات العليا هناك، أوفد سنة 1973 إلى الأزهر فحصل على شهادة الماجستير في العقيدة والفلسفة عام 1979، وتدرج في التدريس والإدارة في كليات متعددة، له مشاركات ثقافية عديدة، وكان ضمن من يجمع التبرعات إبان حرب التحرير الجزائرية، له مؤلفات منها: وقفة في رحاب المواقف[99].

28. فرج بن عبد السلام حرير اليعقوبي الفيتوري، طلب العلم ببلده زليتن، ثم انتقل إلى زاوية الزروق، ومن شيوخه هناك: رمضان أبو تركية، ثم ذهب إلى الأزهر وأخذ عن أجلاء مشايخ الأزهر، نال الشهادة العالمية منه سنة 1354هـ/ 1936م، ثم رجع إلى وطنه وتولى التدريس بالمعهد الأسمري، وكان عضوا بارزا في لجنة إصلاح رواق المغاربة وأوقافه، برئاسة محمد بن مسعود فشيكة، أيام شيخ الأزهر المراغي، وتوفي به سنة 1946م[100].

29. كريم الدين عبد الكريم البرموني المسراتي، (الإمام المحدث المسند الراوية الفقيه

(99) ينظر: مصراته معالم وملامح ص246.

(100) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/118-121، ومصراته معالم وملامح ص269.

النبيه) كذا وصفه ابن مخلوف، من شيوخه اللقاني الشمس والناصر، والتاجوري والميموني وابن حجر الهيتمي، والبكري، من تلاميذه: إبراهيم اللقاني والأجهوري، له حاشية على مختصر خليل، ولد سنة893هـ، وتوفي بعد سنة 998هـ [101].

30. محمد السنوسي بن صالح المهدي، ولد بمسلاته سنة1287هـ 1870م، حفظ القرآن بزاوية الدوكالي، ثم واصل تعلميه بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ومكث بها فترة غير يسيرة حتى أنهى تعلميه الفقهي واللغوي بها، ثم رجع إلى بلدته وانشغل بالأدب والشعر، وزهد في الوظائف الحكومية، وكانت له مواقف بطولية وشجاعة فكان لا يخشى في الله لومة لائم، كان ممثلا لبلدته مسلاته في المؤتمر الوطني المنعقد في مدينة الخمس سنة1910م، وألقى فيه خطابا شجاعا مهما نبه فيه على الخطر الإيطالي، وضرورة الاستعداد لإعلان الجهاد ضد الإيطاليين، كما كان كاتبا بليغا في الصحف التي كانت تصدر في ذلك الوقت، مثل صحيفة العصر الجديد،

---

(101) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية2/157.

وجريدة الكشاف، وغيرها، ولما دخل الإيطاليون مسلاته واحتلوها خرج مهاجرا إلى الشام، واستقر بشرق الأردن، فتولى القضاء في بعض مدنها، وآخرها بلدة السلط حتى وافاه الأجل سنة1943م [102].

31. محمد القماطي، من خريجي الزاوية الأسمرية، درس في أماكن مختلفة ، آخرها في زاوية العارف زغوان بطرابلس سنة1963، وتوفي بعدها بسنتين ونيف[103].

32. محمد بن إبراهيم الفيتوري ابن حقيق، من نسل الشيخ عبد السلام الأسمر، ولد في مصراته عام1906م، ولما بلغ سنة الرشد رحل إلى زليتن لطلب العلم فحفظ القرآن الكريم في زاوية السبعة، وتلقى العلوم الشرعية واللغوية المختلفة بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر ، ومن شيوخه: الشيخ أبو زبيدة والشيخ الصاري. رجع إلى مصراته وتولى الإمامة والخطابة وتدريس القرآن الكريم بمساجدها، تخرج على يديه أكثر من 500 طالب

---

[102] ينظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني ص211-214.

[103] ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص309.

في دراسة القرآن الكريم، منهم كبار مشايخ مصراته، مثل: الشيخ أحمد جهان فورتية، والشيخ امحمد افنيخرة، وغيرهم، توفي عام1975 أثناء إمامته الناس في صلاة المغرب ساجدا [104].

33. محمد بن أحمد الورفلي القط، قد حفظ القرآن الكريم ببني وليد، ودرس بزاوية ابن شعيب بالزاوية، ثم رجع إلى بلده وشرع في التدريس، وأخذ عنه كثيرون، وفي سنة1303هـ رحل إلى الأزهر وقضى فيه (14) عاما، ومن مشايخه العلامة أحمد الرفاعي وغيره، وفي أوائل سنة1317هـ رجع إلى طرابلس، وأقام بمدرسة عثمان باشا مدة عام، وألقى دروسا بجامع الناقة، ثم دعي للتدريس بالزاوية الأسمرية سنة1900م وبقي بها حتى 1910م، وصاهر عائلة الفطيسي هناك، ودرس علوم السنة وكتب الفقه والعربية وغيرها، ودرّس أيضا بزاوية الفطيسي، وكان لا يُرى إلا مدرسا أو

---

(104) ينظر: مصراته معالم وملامح ص266.

مذاكرا او متعبدا، توفي ببني وليد سنة1928م[105].

34. محمد بن أحمد بن يونس الفقهي، قرأ ببلدته بني وليد، ثم بزاوية السبعة بزليتن عام1935م، ثم توجه إلى الزاوية الأسمرية وبها أخذ مبادئ العلوم، ثم رجع إلى بني وليد وتولى التحفيظ في مساجدها[106].

35. مَحمد بن أحمد فنيخرة، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد حقيق، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر فدرس بها مدة، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف وتخرّج في إحدى كلياته، ثم رجع ليبيا واشتغل بالتدريس في اماكن متحددة، وساهم في الوعظ والإرشاد وتأهيل الخطباء[107]، وقد زرته قبل سنوات في بيته،

---

(105) ينظر: ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص268، ومسلاته في العهد العثماني الثاني ص218. وفيه وفاته سنة1922م.

(106) ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص268.

(107) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/298.

وحضرت درسه في شرح العقيدة السنوسية، بقراءة الأخ الشيخ حفاظ القليب رعاه الله آمين، وكان غاية في النشاط والحضور الذهني والاستذكار للمسائل العلمية وكذا السياسية، حفظه الله تعالى.

36. محمد بن حكومة الفيتوري، أحد المدرسين بزاوية ابن شعيب من مدينة زليتن، كان شيخا للطريقة العروسية[108].

37. محمد بن خليفة بن عبد الله بن شعبان، ولد بمصراته 1901، وقرأ القرآن الكريم بمسجد ابن عبدون، ثم بالزروق، ثم أكمل حفظه بزاوية المحجوب على يد الشيخ المهدي بن عبد الله، انتقل بعد ذلك إلى زليتن، فدرس العلوم الشرعية في زاوية السبعة وزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ثم رجع إلى مصراته وتولى إمامة الناس وتدريس القرآن الكريم، وأفاد الناس من علمه في الفتوى والوعظ والإرشاد، توفي سنة1973م[109].

---

[108] ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم 421.

[109] ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/301.

38. محمد بن عبد الرحمن بن نصر ولد سنة1900، من اولاد بحيو بمصراته يرجع نسبهم إلى الشيخ عبد السلام الأسمر، وأسرته أسرة علمية مرموقة، حفظ القرآن الكريم مبكرا، ودرس العلوم اللغوية والشرعية بزاوية الزروق، ثم انتقل إلى المعهد الأسمري، تميز بقوة الحافظة، ونظم الشعر، اتخذ دكانا في السوق لإجابة فتاوى المستفتين ثلاثة أيام من كل أسبوع، ولما جمع الطليان العلماء والفقهاء لأجل إقناع الناس بالتجنس بالجنسية الإيطالية كان الشيخ محمد ضمن الحاضرين وكان أصغرهم سنا، وتكلم رافضا للجنسية، وأن الدين يمنع من ذلك لأنه ولاء لغير المسلمين، ولما طالب الشعب بالاستقلال كان الشيخ محمد من أعضاء المؤتمر البارزين، واعتقل لما خرج في مظاهرة عارمة حدث فيها صدام دموي في أوائل الخمسينات، توفي سنة1983م، له عدة مؤلفات [110].

39. محمد بن عبد السلام الفضيل، حفظ القرآن الكريم ببلدته مصراته، ثم انتقل إلى المعهد

---

(110) ينظر: مصراته معالم وملامح ص296.

الأسمري، ثم كلية اللغة العربية البيضاء، وبعد تخرجه عين مدرسا في معهد مصراته، ثم موجه لمادة اللغة العربية بأمانة التعليم[111].

40. محمد بن عبد السلام بن إبراهيم القماطي، العالم الجليل، ولد بمنطقة قصر الأخيار (قماطة) سنة1902م، وشرع في حفظ القرآن الكريم بزاوية الدوكالي مسلاته، ثم بزاوية القراقر بقصر خيار، وبعد تمام الحفظ توجه للزاوية الأسمرية، فدرس الفقه والحديث والتفسير والنحو وعلوم اللغة العربية والفلك، ومن شيوخه هناك العلامة منصور أبو زبيدة، ثم ارتحل لتونس فدرّس بها بمنطقة (بنقردان) مدة تسع سنوات بالإضافة إلى أخذه علوم التصوف والشريعة عن شيخ هناك اسمه عمار الأبيض، ثم انتقل بوصية من شيخه إلى العجيلات للتدريس والإمامة والخطابة، وبقي بها أكثر من ثلاثين عاما، إماما مفتيا ومحفظا، وتوفي سنة1989م[112].

---

(111) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/298.

(112) ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص36.

41. محمد بن عبد المولى بن حسين الفاضلي الهنشيري المعروف بالشيخ عبد المولى، يرجع نسبه إلى قبيلة سيلين بالخمس، ولد بطرابلس سوق الجمعة سنة1853م تقريبا، تولى الخطابة والإمامة في مسجد بيت المال، كما تولى تحفيظ القرآن الكريم، وكان نقيبا للزاوية العروسية المقابلة للجامع المذكور وتسمى باسم: زاوية الشيخ عبد السلام، وكان مفتيا في النوازل التي تقع لأهل بلدته، ووصفه تلاميذه بالعلم الواسع في العلوم المختلفة، مع العمل به، فكان ورعا كريما، ولم يترك الدرس مدة حياته، من تلاميذه: الشيخ أحمد بن محمد حمادي، له آثار علمية مخطوطة، منها: رسالة في التوحيد، منظومة في سنده في الطريقة العروسية، توفي سنة1345هـ، 1927م[113].

42. محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد العالي، شقيق الشيخ أحمد المذكور، وابن أخ الشيخ السنوسي، ولد سنة1924م، حفظ القرآن الكريم

(113) ينظر: مقدمة تحقيق المدد الفائض في علم الفرائض ص45-48، 55، ومقدمة حادي العقول إلى بلوغ المأمول ص70.

بالزروق وأخذ العلم فيها، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، وأخذ العلم عن مشايخها، وكان يسكن هو والشيخ الطيب المصراتي في خلوة واحدة، باع والده قطعة أرض وأرسله إلى الأزهر الشريف، غير أن ظروف الحرب (الحرب العالمية الثانية) حالت دون دخوله الأراضي المصرية، وأخذ أسيرا ولم يطلق سراحه إلا بعد دخول القوات البريطانية مدينة بنغازي، ثم توجه إلى تونس، والتحق بجامع الزيتونة، ونال إجازة التدريس منها، وتولى تدريس القرآن الكريم في عدة مدن تونسية، توفي سنة1989م[114].

43. محمد بن علي المغرواي الصركي، ولد بمصراته عام1843، طلب العلم في مساجد مصراته وزواياها، وتولى إمامة وخطابة مسجد الصور بها، ثم رحل إلى زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر لمواصلة تعليمه، وتولى في زليتن مع دراسته إمامة أحد المساجد وتدريس القرآن الكريم به، وبقي بالزاوية حتى عام1912م، تولى قضاء سرت ثم

(114) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/75-76.

زليتن، ثم استقال سنة1945، عاد إلى مصراته عام1947، وبقي إماما وخطيبا ومعلما، توفي سنة 1963م[115].

44. محمد بن علي بن محمد فريفر، ولد بمصراته سنة1922م، تعلم في قريته بعضا من القرآن الكريم، ثم انتقل إلى زاوية الزروق وحفظ القرآن الكريم هناك حوالي سنة1938م، ثم انتقل فيما بعد – مع أخيه أحمد – إلى زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، وبقي هناك يطلب العلم إلى سنة1941م، تولى تدريس القرآن الكريم في مناطق متعددة في شرق البلاد، ثم استقر به المقام في قريته، فواصل التدريس والإمامة والوعظ إلى أن توفي سنة1988م[116].

45. مَحمد بن مختار بن عبد القادر جوان، ولد بزليتن سنة1915م، حفظ القرآن الكريم بالزاوية المدنية، ودرس العلوم الشرعية واللغوية بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ومن شيوخه آنذاك: العلامة منصور أبو زبيدة وارحومة الصاري،

(115) ينظر: مصراته معالم وملامح ص129.

(116) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/77.

تخرج فيها وحصل على الشهادة العالمية منها، ودرّس بها فترة من الزمن، ثم رحل إلى مصر، فتحصل على الشهادة العالمية من كلية أصول الدين بالأزهر، وإجازة التخصص منه أيضا، وتحصل على شهادة الماجستير شعبة التاريخ والقوميات من معهد الدراسات العالية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة، ثم رجع إلى بلده، فعين شيخا للمعهد الأسمري، ثم شيخا للقسم العالي بالبيضاء جامعة السيد محمد بن علي السنوسي، ثم عميدا لكلية الشريعة بها، ثم وكيلا للجامعة الإسلامية، كما أنه كان عضوا بهيئة كبار العلماء، ورئيس لجنة الفتوى بالجامعة، وشارك في مؤتمرات عالمية داخل البلاد وخارجها، توفي في ذي الحجة1418هـ، 1998/3/29م [117].

46. محمد حفاف، درس ببلدته بني وليد، ثم بالزاوية الأسمرية، وتولى التحفيظ بمسجد الغرارات بطرابلس [118].

---

(117) ينظر، مقدمة "نفح الرياحين من رسائل سلطان العارفين ص20.

(118) ينظر، الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص264.

47. مَحمد طليبة ، أخ الشيخ عبدالله(الأصفر)، تعلم بالزاوية الأسمرية، درس على يد أخيه الشيخ عبد الله طليبة وعلى الشيخ منصور أبو زبيدة[119].

48. محمد علي طابلّه، حفظ القرآن الكريم بطرابلس وتلقى العلم، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد السلام وأخذ عن علمائها، تولى إمامة الأوقات بمسجد التومي، وكان يملك مكتبة قيمة أكثرها مخطوط، توفي سنة1947م[120].

49. محمد غريبي بن عمران بن عبد السلام اليعقوبي الفيتوري، ولد سنة1885م، حفظ القرآن الكريم بزاوية السبعة، وأخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغوية عن مشايخها، ثم انتقل إلى الزاوية الأسمرية، فأخذ عن مشايخها، ومن بينهم: الشيخ محمد القط الورفلي خريج الأزهر، والشيخ مفتاح بن زاهية، وغيرهما، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ زروق، وأخذ عن الشيخ رمضان أبو تركية،

---

(119) ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص276.

(120) ينظر: مقدمة تحقيق المدد الفائض في علم الفرائض ص60.

والشيخ ارحومة الصاري، ثم انتقل إلى زاوية المحجوب بمصراته، وأخذ عن الشيخ قاجه الورفلي، ثم تفرغ للتدريس بزاوية السبعة بزليتن، ومن تلاميذه بها: الشيخ علي مفتاح الشويطر، والشيخ سالم عبد السلام المحجوب، والشيخ محمد سالم الغويل، والشيخ أحمد بن حامد وغيرهم، وكان خطيبا بمسجد الجمعة بالفواتير، مع قيامه بالفتوى والإصلاح بين الناس في الخصومات. وكان له اهتمام بالسياسة، ذلك أنه انضم إلى المؤتمر الوحدوي الذي كان يرتكز على وحدة البلاد والوقوف ضد تجزئتها، وكان خطيبا مفوها، إلى جانب رده على المقالات المشبوهة والمزيفة، وكانت له موهبة في الشعر، حيث قال مُرَحِّبًا بقُدُوم العلامة الشيخ فرج خُرِيزْ الفيتوري للتدريس بالزاوية الأسمرية:

أهلاً بمَقْدَمِكَ السّعيدِ الأبهَر

كالغَيْثِ يَأتِي للمَكَان الأقْفَر

وقفْلتَ تحْمِلُ للبلاد صراحها

فانْشُر عُلومَكَ في رُبُوع الأسْمَر

ذا معهد العِرفان والقرآن والإ

حسان والبركات دَوْمَ الأعصُر

طَلاَّبُهُ يرجُونَ نَيلَ مُرَادِهِمْ

مِنْ كُلِّ عِلمٍ نَافِعٍ مُتيَسِّر

آنَ الأَوَانُ لهم لكي ما ينهضُوا

بالعِلمِ سُلَّم كُل خير باهر

فلعل غابر مجدنا مُستظهر

فاليُسر بعد العُسر للمُتبَصِّر

فَرَحٌ آتَى والسَّعْد أرَّخ مُعلِنا

بُشرَى لكُم آمَلَ بظَفْر الصَّابر

ومن شعره:

فعار علينا أن نعيش أذلة

وأن نترك الأوطان يحكمها الغرب

وأن يرجع المطرود يوما لأرضنا

كفى ما جنته تلكم الأرجل الجرب

ولما نجح في المجلس التشريعي أضاف إلى جملة القسم عبارة لم تكن معهودة (فيما لا يخالف الشريعة الإسلامية)، فكان بها مميزا مما جعل الأمور توقف حتى اتُّصِل برئيس الحكومة وأجاز القسم. توفي سنة1965م[121].

50. محمد الإمام الزنتاني (محمد بن محمد بن أحمد بن سالم بن خليفة بن عبد الكريم الذويب). ولد سنة1857م بالزنتان، توفي والده وهو في بطن أمه، وتولى رعايته جده أحمد، الذى ألحقه بمدرسة قرآنية وهو في سن الخامسة من العمر، حفظ القرآن وسنه لم تتجاوز العشر سنوات، وطلب العلم عند بعض الشيوخ هناك، ثم باع فرسا ورثه من والده وسافر إلى زليتن والتحق بالزاوية الأسمرية، درس هناك علوما كثيرة

---

(121) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/107- 118.

وفيها تخرّج وأجازه شيوخه سنة1880م، من شيوخه: الشيخ مصطفى السلاع، والشيخ محمد الكميشي، والشيخ محمد عيون الغزال، والشيخ محمد الفطيسي، والشيخ عبد الله بن عمار.

رجع لأداء الرسالة في بلده، فتولى مهمة الإمام الراتب في مسجد قرية الزنتان، مع تعليم الناس والأطفال، ومن تلاميذه: الشيخ امحمد بوذينة الزنتاني الذى تولى رئاسة هيئة كبار العلماء التي تشرف على رواق المغاربة بالازهر الشريف، كما تولى منصب شيخ جامعة محمد بن علي السنوسي الإسلامية بالبيضاء.

وتولّى عدّة مناصب أخرى، منها: التدريس بزاوية العالم، ونائب للقضاء الشرعي بالزنتان، وقاضي بيفرن - وكيل المجلس الشرعي في العزيزية - وكيل المجلس الشرعي في الزاوية الغربية - عضو المجلس الحربي العرفي - عضو المجلس الشرعي للجمهورية الطرابلسية - رئيس المجلس الشرعي للجمهورية الطرابلسية.

شارك في الجهاد في عدة معارك منها : معركة الهاني، ومعركة زوارة بمنطقة سيدي سعيد، ومعركة غوط الديس بالعجيلات، ومعركة الكردون بالزنتان.

وكان من فتاواه: استباحة دماء وأموال الخونة و الجواسيس وعملاء الطليان الذين كانوا يدلون الايطاليين إلى أماكن المجاهدين، وضرورة معاملتهم معاملة الأعداء.

أسره الإيطاليون، وحكموا عليه بالإعدام، وبقي مسجونا لسنوات طويلة، ثم أفرج عنه لتردي حالته الصحية، ولكنهم ألزموه الإقامة الجبرية في بيته، ومنعوه حتى من الخروج إلى المسجد.

له مؤلفاته منها:

1. قرة العين وسعادة الدارين بالصلاة على أكرم المخلوقين.
2. أوضح المسالك إلى مذهب الامام مالك.
3. مسائل الحج و ما يتعلق به.

4. الروض الحافل و المجموع الشامل لبعض الرسائل و النوازل
5. المسك الأذفر العباق لمن أراد الدخول لحظرة الملك الخلاق في الصلاة على من جمع مكارم الأخلاق.

توفي وعمره فوق الخمسة والثمانين، يوم الجمعة 20 رمضان 1361هـ وهو في الإقامة الجبرية [122].

51. مَحمد محمد المحجوب حسن المحجوبي، ولد بصرمان1918م، بدأ بحفظ القرآن الكريم بزاوية سيدي زكري، وكذا بعض العلوم الشرعية بها، ونهل من زاوية ميزران وأحمد باشا وزروق بمصراته، وبعدها تصدر للتدريس والوعظ والإرشاد في زاوية سيدي زكري، ثم شيد زاوية بجوار بيته، وجعلها مركزا للطريقة العروسية، وشهد له بالتفوق والتميز وأجازه وحثه على المداومة على الاوراد

---

[122] ينظر: الإمام محمد الإمام" السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ العلامة محمد الإمام الزنتاني، غير منشورة، وصالح المختار أبوبكر التومي" الحج و ما يتعلق به من مسائل للشيخ محمد الامام الذويبي الزنتاني" أطروحة رسالة الماجستير، جامعة الجبل الغربي سنة 2008 م.

والأذكار شيخه المربي محمد بن علي الغرياني، وكانت له صلات اجتماعية مختلفة، له مجموعة كبيرة من القصائد الشعرية في الحديث عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفضائله[123].

52. محمد مفتاح قريو، ولد بمصراته 1332هـ/1914م، درس بالمدارس والزوايا العلمية بمصراته، ثم التحق بالمعهد الأسمري، ودرس على يد الشيخ منصور أبو زبيدة وغيره، وحصل على الشهادة الأهلية، ثم عين مدرسا بالمعهد، ثم بالمعهد الزروقي، ثم التحق بالجامعة السنوسية وحصل على الشهادة العالمية، وعين مرة أخرى مدرسا بالمعهد الأسمري، ثم عاد إلى مصراته فعين مدرسا بمعهد القويري، ثم انتقل إلى معهد مصراته الديني، له أكثر من خمسة وثلاثين مؤلفا، منها: نظم العقائد في التوحيد، نظم تاريخ التشريع الإسلامي، الدور الاول من جهاد الليبيين في الطليان، و "جواهر الفقه المختارة من أقرب المسالك الحسن العبارة" نظم في أكثر من ثلاثة

---

(123) ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم ص381.

آلاف بيت انتهى منه عام1409هـ[124]، ومن تلاميذه: الشيخ الطيب المصراتي، والعلامة مصطفى التريكي، والدكتور صالح الطالب، توفي 1421ه، 2000م[125]، ورثاه الدكتور محمد مصطفى صوفية بقصيدة منها:

ومعاهد العِلم الشريف سمعتُهَا
تبكِي عليكَ ولا تَمَلُّ عَويلاً
في معهد الزَّرُّوق أو في الأسمري
طافَتْ بكعبَتِكَ الوُفُودُ حلولا
فلطالما حَفَلَتْ بِكُمْ حلقاتُها
تَتلُوا الكِتَاب وتشْرَحُ التّأويلا[126]

53. محمد ميلود الاصيبعي، مواليد الأصابعة 1924م، بدأ دراسته بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ثم انتقل إلى زاوية المحجوب بمصراته، هاجرت أسرته لتونس، وبعد مدة لحقهم هناك،

---

(124) ينظر: جواهر الفقه ص6، 201.

(125) ينظر: مصراته معالم وملامح ص318.

(126) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/140.

واشتغل بتدريس القرآن الكريم بمنطقة فندق الجديد بتونس مدة علم فيه مجموعة كبيرة من الطلاب القرآن الكريم واللغة العربية، ثم رجع إلى طرابلس سنة 1951م [127].

54. مسعود بن محمد بن حسين المليطي الورشفاني، حفظ القرآن الكريم بزاوية ابن شعيب وأخذ عن عالمها محمد بن عبد الرزاق البشتي، وأخذ الطريقة العروسية من الشيخ محمد بن حكومة، تصدر لتعليم الناس وإرشادهم، توفي بجنزور سنة1329هـ [128].

55. مصطفى عبد السلام التريكي، أخذ عن الشيخ قريو في زاوية الزروق، ثم انتقل إلى المعهد الأسمري، ومنه إلى الأزهر، وتخرج في كلية أصول الدين، ثم رجع إلى ليبيا وعين عميدا لكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية البيضاء، اشتهر بدروسه المبسطة في الإذاعتين المسموعة والمرئية، وكذا مرافقته للحجاج، ودروسه في

---

[127] ينظر: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان ص258-259.

[128] ينظر: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم 421.

مساجد طرابلس وغيرها لا سيما مسجد الناقة، توفي رحمه الله تعالى سنة2010م [129].

56. مصطفى علي بن عامر، قرأ بالزروق، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ثم إلى معهد القويري، ثم المعهد الديني بالإسكندرية، والتحق أخيرا بالأزهر الشريف، وتخرج في كلية الشريعة والقانون، ولما رجع إلى ليبيا عيّن في سلك القضاء، وما زال به حتى وصل إلى رئيس محكمة الاستئناف، وانتدب لرئاسة فرع التفتيش على الهيئات القضائية[130].

57. مفتاح بن إبراهيم اللبيدي، ولد بمصراته عام1917م، درس بزوايا بلدته القرآن الكريم وبعض العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى المعهد الأسمري ودرس على مشايخه، وأجازوه للتدريس، ومن مشايخه: رمضان أبو تركية، وارحومة الصاري، والطيب المسلاتي، كان له نشاط سياسي ضد التقسيم والتجزئة للبلاد، وكان من

---

(129) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)160/2.

(130) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)189/2.

المنضمين لحزب المؤتمر، وسجن لأجل ذلك، رجع إلى مصراته عام 1952، ودرّس بمسجد الشيخ، وبالمعهد الديني، وتخرج على يديه كثيرون، توفي سنة 1993م[131].

58. يوسف بن ساسي، حفظ القرآن الكريم بجامع السور على يد أخيه الشيخ محمد، ثم انتقل للمعهد الأسمري، ثم إلى مصر، ثم رجع إلى ليبيا والتحق بكلية اللغة العربية بالبيضاء وتخرج فيها، ثم أوفد للخارج، تولى التدريس في الجامعات الليبية، وآخرها كلية الآداب مصراته، وكان متقنا متخصصا[132].

---

(131) ينظر: مصراته معالم وملامح ص332، و ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/127-128.

(132) ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا (زاوية الإمام أحمد زروق بمصراته)2/296.

بعض الزوايا التي وُلدت من رحم زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر:

أ. زاوية سيدي فتح الله: تقع في قرية زمورة غرب المركز الرئيس لمصراته بحوالي4كلم، وهو عبارة عن زاوية أنشئت على ضريح سيدي فتح الله بن خليفة بن الشيخ عبد السلام الأسمر (ت1075هـ). ومن الذين درّسوا في هذه الزاوية: الشيخ امحمد الهرامة، والفقيه علي بن سليمان، والفقيه علي الجاهولي، ومن بين طلبتها ومدرسيها أيضا: الشيخ محمد بن عامر، والشيخ محمد المجذوب، والشيخ عبد السلام بن أبو القاسم بن سليم، والشيخ محمد البدوي بن حقيق، والشيخ عبد الرحمن بن حقيق، والشيخ أحمد بن حقيق شهيد معركة السبت[133].

ب. زاوية أبو راوي -من أحفاد الشيخ عبد السلام الأسمر- بتاجوراء، ومن أعلامها:

1. الشيخ علي الغرياني، ولد بتاجوراء، ودرس بزاوية أبي راوي على يد الشيخ احميدة

(133) ينظر: الحياة الثقافية بمصراته أثناء الحكم العثماني الثاني ص170-171.

النعاس في الفقه والنحو، كان من الفقهاء العلماء الوقورين، التزم زاوية الحطاب لتدريس القرآن الكريم والعلوم الشرعية والعربية، وكان مشرفا على زاوية الحطاب، توفي سنة1322هـ [134].

2. أحمد بن الشيخ محمد بن احمد النعاس، ولد بتاجوراء، درس على مشايخ المنطقة في زاوية الحطاب وأبي راوي، فحفظ كتاب الله ودرس العلوم العربية والشرعية، من أهم شيوخه: الشيخ علي الغرياني، له تلاميذ كثر منهم: محمد بن محمد قاسم قاجه، اشتغل بالتدريس في زاوية أبي راوي، له مؤلفات مخطوطة [135].

ت. كُتاب جامع محمد السملقي بقرية لواتة: - والسملقي من تلاميذ الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري من العلماء المحدثين الفقهاء، توفي سنة988هـ- ويعرف بجامع سيدي حمودة السملقي، ومن أشهر من تولى أمور التدريس به: الفقيه أحمد الكلبوش الفرجاني، ومن بعده الفقيه العالم أبو

---

[134] ينظر: زاوية محمد الحطاب الكبير بتاجوراء ص62.

[135] ينظر: زاوية محمد الحطاب الكبير بتاجوراء ص63.

بكر شرف الدين البودي الذي تولى أمور الجامع إمامة وخطابة وتدريسا، ومن أشهر تلاميذه: مفتاح بن امحمد علي العربي اللواتي، ومحمد محمد الشوماني اللواتي، وامحمد عبد العالي سالم اللواتي[136].

---

[136] ينظر: مسلاتة في العهد العثماني الثاني ص155.

دور التربية الروحية
في الدعوة إلى الله
و تحقيق الأمن الروحي و الحضاري
و التعايش البناء في بلاد الغرب.

بقلم

الدكتور طارق أبو نور بنكرعي

(المغرب-فرنسا)

الأمين العام للمجمع الفقهي الأوروبي المستقل

مسؤول الموقع المالكي الفرنسي:

www.doctrine-malikite.fr



الحمد الله رب العالمين حمدا كثيرا كما ينبغي لجلال قدره و عظيم سلطانه و الصلاة و السلام الأتمان الأكملان على سيد الأنام و الشفيع في المذنبين يوم الزحام حبيبنا و طبيبنا و قرة أعيننا محمد بن عبد االله رسول االله خاتم الأنبياء و المرسلين المبعوث رحمة للعالمين . اللهم صل على سيدنا محمد النبي المليح صاحب المقام الأعلى و اللسان الفصيح و على آله و صحبه و سلم تسليما

يقول الحق عز وجل: و نفس و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها.

إن تزكية النفوس أو التربية الروحية فرض عين عند كثير من العلماء العاملين لمن رام مقام الإحسان و أراد وجه الكريم المنان و هو الفلاح الأكبر الذي لا تطيب الجنة إلا به.

و اعتبر علمائنا أن تزكية النفوس و تطهيرها من رعوناتها هو الجهاد الأكبر، لأن مشقته دائمة فهو

مستقل عن الزمان والمكان، و مرتبط بكل أحوال الإنسان.

و العدوان اللدودان في هذا الجهاد هما النفس والشيطان ، لا نراهما، "إنه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم"، فيصعب على من لم يعتن بهذا العلم الشريف و انغمس في الغفلات أن يرى عيوب نفسه ويتبين وسواسها و وسواس الشيطان قرينها، بل و قد يتخذ هذان العدوان وليا حميما و هو لا يعلم.

و قد فصل القوم أمراض القلوب على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة،فحذروا من الآثام الباطنة التي حرمها الحق في قوله: "وذروا ظاهر الإثم و باطنه" و قوله:"قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن". و لما كانت هته الأمراض ،من حسد وعجب و رياء و كبر، ماحقة للعمل حاجبة للقلب مورثة عماه، "فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور" ، كان لزاما إتخاذ الشيخ القدوة المربي الذي يكون الصاحب الوفي و المرآة الصافية التي تمكن المريد من التغلب على النفس

ومخالفتها، و الإرتقاء بها من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة ، إلى نفس مطمئنة موافقة لما ورد عن المعصوم عليه أفضل الصلاة و التسليم:لا يومن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به.[137]

و في هذا الباب العظيم و المقام الكريم يقول سيدي بن عاشر في منظومته:

يطهر القلب من الرياء

و حسد عجب و كل داء

حب الرئاسة وطرح الآتي

إعلم بأن أصل ذي الآفات

رأس الخطايا هو حب العاجلة

ليس الدواء إلا في الاضطرار له

---

[137]صححه ابو نعيم باخراجه له في الاربعين وصححه الامام النووي في الاربعين وصححه الامام الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح وقال رجاله ثقات

رواه ابن أبي عاصم في " السنة " (رقم 15) والطبراني في " المعجم الكبير " ،وأبونعيم في " الأربعين " – كما في " جامع العلوم والحكم " ص489

يصحب شيخا عارف المسالك

يقيه في طريقه المهالك

يذكره آلله إذا رآه

ويوصل العبد إلى مولاه

يحاسب النفس على الأنفاس

يزن الخاطر بالقسطاس

ويحفظ المفروض رأس المال

والنفل ربحه يوالي

ويكثر الذكر بصفو لبه

والعون في جميع ذا بربه

يجاهد النفس لرب العالمين

ويتحلى بمقامات اليقين

****

و نحن في الغرب و بالضبط بفرنسا أحوج ما نكون إلى النظر في عيوب أنفسنا و تطهير قلوبنا حتى تكون معاملتنا مع الآخر مسلما كان أو غير مسلم متسمة بالأخلاق العالية الكريمة لنحبب للناس ديننا ونحبب رب العباد للعباد فنكون رحمة لا نقمة! كما

كان الرحمة المهداة للعالمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

إن التربية الروحية الإحسانية هي الكفيلة بتخريج خير سفراء و ممثلين لهذا الدين حالا و مقالا محققين قوله عز و جل: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن" و قوله تعالى:" و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" و إن أوذوا و إن جهل عليهم، كانوا سلاما و قالوا سلاما وامتثلوا لقوله تعالى: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم" و قوله صلى الله عليه و سلم فيما روى البزار والطبراني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي "

فقال: تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفوا عن من ظلمك ، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة"

****

إن الأقلية المسلمة في بلاد الغرب و بالخصوص هنا في فرنسا تعاني من سوء فهم لهذا الدين قذف بكثير من الشباب في شراك العنف و التطرف و الإرهاب و هم يظنون أنهم يحسنون صنعا!!فشوهوا صورة دينهم وصورة الجهاد!!

و سوء الفهم هذا سببه الأول الإنتشار الواسع لإديولوجيات الكراهية و الإقصاء و على رأسها السلفية الوهابية البترودولارية التي تتمتع في أوربا بشعبية واسعة لدى جل الشباب هنا في أوروبا بل وحتى لدى الأئمة منذ ثمانيات القرن الماضي!

و اعتمدت هته الأيديولوجية السلبية أسلوب الترهيب و أقصت كل معاني الرحمة و التعايش، و أوهمت من يتبعها أنهم الفرقة الناجية! و لم تحترم الرأي الآخر بل و سفهت أقوال الفقهاء من المذاهب الأربعة المعتمدة حتى في مسائل الخلاف و الإجتهاد! واستعانت من أجل ذلك بالأموال و نشر الكتب

بالمجان و بالمواقع الإلكترونية العالية الجودة بكل اللغات الحية و لا حول ولا قوة إلا بالله!

و لا نرى الخروج من هذا المأزق إلا بنهوض العلماء العاملين في المغرب و غيره إلى ترجمة أصولنا و تراثنا الصحيح الوسطي و تكوين الشباب و الشابات و إرسال البعثات ليبينوا للناس حقيقة هذا الدين و جماله؛ ولا بد أن تصاحب هذه النهضة الأدبية العلمية على الساحة نهضة إلكترونية على المواقع و اليوتوب ومواقع التواصل الإجتماعي، حتى ننقذ أبنائنا من براثن هته الإديولوجيات الهدامة.ولابد أن يكون هذا الجهاد الأدبي و العلمي مدعما من الدول الإسلامية المعروفة باعتدال منهجها كمغربنا، فنعيد بذلك لهذا الدين صورته الصحيحة.

و لا بد أن نهيب في هذا المقام بأدوار الزوايا عبر التاريخ في تعليم و تربية النشئ على الثوابت الدينية والأخلاقية و حفظهم من الإستيلاب الفكري والعقائدي بالإضافة إلى الدور الجهادي و الإجتماعي

وفقنا الله و إياكم للتعاون على البر و التقوى والنهوض بمسؤولية الدعوة حالا و مقالا. آمين و الحمد لله رب العالمين.

المرجعية الصوفية
تفضح زيف المرجعية السلفية

حوار مع الشيخ الدكتور

عزيز الكبيطي الإدريسي الحسني

رئيس المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية والجمالية بالمغرب

من موقع[138] : -AHDATH.INFO

حاورته سكينة بنزين

(ننشره بعد استشارته وموافقته)

---

[138] رابط المقال في الموقع:
http://www.ahdath.info/265850

علاقة متشنجة، ومسارات أشبه بخطوط متوازية لا أمل في إلتقائها .. هكذا تبدو الصورة المتنافرة بين التيارات الدينية المتشددة والتيار الصوفي بالمغرب الذي يتعرض لهجمة شرسة بدون مناسبة .. أو لعلها مناسبة اعتماده كواحد من الثوابت الروحية للمملكة، مما وقف حجر عثرة أمام تمرير عدد من المشاريع الدينية المتشددة القادمة من المشرق.

وعلى الرغم من حملات التشويه والتسفيه التي يتعرض لها التيار الصوفي من طرف التيار المتشدد، وعلى وجه الخصوص التيار الوهابي الذي يفضل استعمال توصيف "القبوريين" خلال حديثه عن التصوف، يندر أن تنخرط الأسماء المحسوبة على صف التصوف في سجالات عقيمة، مفضلة الاشتغال في صمت "فعال"، يترجمه عدد المريدين والأنشطة داخل المغرب وخارجه، بطريقة ساهمت في نشر النموذج الإسلامي المعتدل.

في الحوار التالي يتناول الدكتور عزيز الكبيطي الإدريسي الحسني، رئيس المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية والجمالية بعضا من النقاط التي تعمق الخلاف بين التيار الصوفي والسلفي بالمغرب.

تتعرض الطوائف الصوفية لهجوم شرس من طرف التيارات الدينية المتشددة، وقد كانت وفاة الشيخ حمزة من إحدى المحطات التي أظهرت غياب أي نقاط التقاء حتى على المستوى الإنساني ... في نظرك ما هي نقاط الخلاف التي خلقت هذا التنافر؟

في الحقيقة، التحامل على رجال التصوف و أهله ليس وليد اليوم، بل تمتد مرجعياته عبر تاريخ الأمة، إذ كان التصوف دائما موضع نقاش حاد سالت فيه مداد الأقلام حقا وباطلا، كما سالت فيه دماء الكثير من الشهداء أيضا حقا وباطلا، و كأن قدر التصوف أن يواجه العوالم كلها في سبيل خلاص النفس إلى

باريها، فمذ بدأ الإيمان يذبل في القلوب بعد رحيل الرعيل الأول من الصحابة، فترت ألسنة البعض عن ذكر الله و عوضته بالخوض في أعراض الناس بنية تنزيه الإله أو الدفاع عن العقيدة و المبدأ فتحول همُّ بعض المسلمين من إصلاح النفس و تحسين العلاقة مع ربها إلى إصدار الأحكام بالتفسيق و التكفير والإخراج عن الملة، عن بيّنة أو عن جهل بأحوال القلوب...

أما عن نقاط الخلاف الأساسية بين أهل التصوف والتيارات السلفية بمختلف أنواعها فترجع - في نظري- إلى أسباب عدة ظاهرية وهمية دعائية، وإلى سبب واحد حقيقي يتمثل في تخوف هذه التيارات من منافسة التصوف لها على المرجعية الدينية، حيث تحاول التيارات السلفية أن تقدم نفسها كالمدافع الأول عن المرجعية الإسلامية وأنها في ذلك تستمد شرعيتها من الكتاب والسنة، وهي نفس المرجعية التي يستند عليها التصوف مع التركيز على الأخذ

بالفهم النبوي الذي يتوارثه الأولياء -أقطاب التصوف- غضا طريا من العهد النبوي إلى يومنا هذا إلى أن تقوم الساعة، وهكذا لا تصبح المرجعية الصوفية منافسة فقط للمرجعية السلفية، بل تدمر بناءها الداخلي وتفجره تفجيرا، وتفضح زيف الادعاء السلفي بالاستحواذ على المرجعية الإسلامية، وهذا ما يجعل السلفيين يعتبرون التصوف أشد خطرا عليهم من الصهيونية أو حتى من أهل الشرك، وهم يرددون هذا جهارا ليل نهار..ليس لأن التصوف فيه البدع والضلالات كما يزعمون، ولكن لكون التصوف ينسف أطروحتهم التي يروجونها أمام الشباب الثائر بطبعه، ومع السذج من الناس الذين ينقادون للحديث المنمق الذي تتخلله بعض الاستدلالات القرآنية المجتثة من سياقها الزماني والمكاني.

أما فيما يتعلق بعدم قيام التيارات السلفية بواجب العزاء في الشيخ حمزة القادري البودشيشي فذلك يرجع إلى أن الرجل رحمه الله كان ظاهرة في حد

ذاتــه تحــدى كــل التيــارات الســلفية وأبــرز ضعفهم ووهنهم الفكري والتأطيري والتـأثيري، فهو وإن كان رحمه الله دائم الصمت، لا يغادر منزله إلا نـاذرا، إلا أن صيته وتـأثيره تجـاوز الآفـاق، و اسـتقطب الآلاف مـن الأتباع ومن أبرز النخب المثقفة والتي يسيل لها لعاب التيـارات السـلفية التــي مـا تفتـر عـن الـدعوة لنفسها بتسـخير مئـات المنـابر الإعلاميــة بمختلـف أصنافها، كما أن الرجل رحمه الله خدم الدين والوطن بشكل لـم تـتمكن منـه التيـارات المتشـددة والهدامـة والتــي أساءت وتسيء كل يوم إلى الدين والوطن. وقد حاولت مرارا جـره إلـى مستنقع الشبهات التـي تجيـد السباحة فيــه إلا أنــه بسـمته الربـاني أبــى أن يطاوعهـا تاركـا للتاريخ فرصة الحكم على الأصوب.

مـن الانتقـادات التـي يوجههـا لكـم التيـار المتشـدد المتبنـي لخطـاب تحريضـي، القـول أنكـم تيـار يتسـم بالسلبية وعدم المشاركة في توجيه الرأي العام رغم عـدد المريـدين، بمعنـى آخـر يعـاب عليـكم وفـق مـا

تسوق هذه التيارات أنكم تيار مداهن للمؤسسة الرسمية؟

هذا السؤال يتضمن معطيين رئيسيين، أولهما: المشاركة في توجيه الرأي العام، وثانيهما: العلاقة مع السلطة السياسية أو السلطة الحاكمة

فيما يخص وظيفة التصوف الرئيسية فهي تختلف عن وظيفة الأحزاب السياسية أو الجمعيات المدنية التي تعمل على توجيه الرأي العام وفق مصالح آنية، أما التصوف فيهدف إلى بناء الشخصية الإسلامية بناءا ظاهريا وباطنيا، يجعل تلك الشخصية مفيدة ومعطاءة ومبدعة أينما وضعت في سياقها الاجتماعي أو الاقتصادي لأن مقصودها الأول هو حسن المعاملة مع الخلق إرضاء للخالق لا طمعا في مناصب دنيوية فانية..وهذا هو أعظم صناعة كونية، وهو تأطير حقيقي للرأي العام يقوم على البصيرة والحكمة وبعد النظر.

أما فيما يخص علاقة أهل التصوف بالسلطة الحاكمة فهي تختلف بحسب الوضعيات، إذ تقوم في مجملها على مبدأ الدعم والمساندة لحظم مسؤولية الحاكم وتشتت أهواء الرعية، وعلى النصح والإرشاد للحاكم في حالة الشذوذ عن الحق والميل إلى الباطل، وقد يتحول الصوفي إلى معارض شرس إذا تبين له الانحراف البين عن الحق وخروج السلطة الحاكمة عن الإسلام أو غير ذلك من جسام الأمور والتي شهدت عبر التاريخ تدخل رجالات التصوف لتصحيح الوضع وإعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي، ونماذج الشيخ الجزولي، و أبي الحسن الشاذلي والشيخ أحمد زروق وغيرهم تمثل هذه المواقف الثلاثة التي أشرت إليها.

يتساءل البعض لماذا يغيب التيار الصوفي عن السجالات السياسية؟

الصوفي لا يعنى بالسياسة الآنية باعتبارها تنافسا دنيويا على المناصب، يستخدم أحيانا أساليب الخداع

والكذب والمكر، ولكن السياسة التي تهم الصوفي هي إصلاحه لنفسه أولا حتى يحقق التناغم بين ماهيته و مطالبه، وثانيا إصلاح مجتمعه وبيئته دون طلب منصب او محبة ظهور، أو طمعا للاستعلاء في الأرض، انطلاقا من أن إحدى أهداف التربية الصوفية هي الشفقة على الخلق، كيفما كان هذا الخلق، إنسانا أو حيوانا أو بيئة، أو غيرها.. وسواء أكان مسلما أم غير ذلك..، وثالثا، وهي الأهم إصلاح علاقته مع ربه، وهذه لا تتم إلا من خلال أدائه لحقوق نفسه ومجتمعه.

كيف تتلقون هجوم الذي يصفكم بالقبوريين، ونشر الشرك والبدع؟

هذه من الحجج الواهية التي يعتمدها السلفيون في الطعن في المرجعية الإسلامية الأصيلة للتصوف، مستغلين في ذلك بعض الأعمال التي يقوم بها بعض الجهال الذين ينسبون أنفسهم إلى بعض الطرق

الصوفية، لكن مجرد قراءة سطحية بسيطة في كتب القوم تجد ما يثبت أن هؤلاء القوم إنما هم أهل علم وفقه وتضلع وتبحر في كل العلوم الدينية، إضافة إلى أنهم أهل التقوى الذين يحتاطون لدينهم من كل خاطرة و شاردة، فلا يعقل أن يعبدوا الأضرحة أو الأولياء أو غيرهم.

ما هي طريقة اشتغال التيار المتصوف لمواجهة خطاب التشدد، الذي نجح في خلق أسماء تحاول التسويق للدين وفق نموذج مستورد يقوم على تشويه نمط التدين المغربي؟

كما أشرت مسبقا فالصوفية يعملون وفق مبدأ إن "الله عليم بذات الصدور" فيراقبون خطراتهم وأنفاسهم من الرياء والشرك، ويجتهدون في إخلاص النية لله، لأن همهم هو إرضاء الله تعالى، لذلك فهم لا يأبهون بالمناصب ولا يلتفتون إلى حب الظهور، إنما يكون عملهم مخلصا لوجهه الكريم -وأنا هنا أتحدث عن

الصوفية المخلصين، وليس متصوفة الزي أو الصراخ أو الحضرة المفتعلة- فهؤلاء ليسوا بأحسن حال من دعاة الإسلام السياسي أو السلفي.

إن التصوف يتهم من العديد من الجهات بالولاء لأجندات معينة، وبتلقي الدعم من السلطة الحاكمة، والأمر ليس كذلك حسب علمي ودراستي وتجربتي، لذلك فأنا من هذا المنبر ، وباعتباري رئيسا للمركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية والجمالية والذي لا يألوا جهدا في خدمة الدين الإسلامي ومحاربة الغلو والتطرف في كل بقاع العالم، وخدمة قضايا الوطن والأمة أدعو إلى تفعيل الدعم المزعوم لأهل التصوف -خاصة التصوف الأصيل وليس الطرقي فقط- و أيضا لتسليط الضوء على جهود الصوفية لخدمة الأمن والسلام الوطني والكوني، والرقي بالقيم الإنسانية إلى أعلى مستوياتها.

المحتوى